

المقصد

درس على كتاب الدارس في المدارس (١)

أيها السادة :

ان تاريخ كل أمة سواء كان مجيداً او غير مجيد قد لا يخلو مستقبله من ارتباط بماضيه
لا من حيث التشابه بين طرفيه بل من حيث النتائج التي تعترب عليها نهضة الامم احيانا
وتغير مجرى الحياة الاجتماعية بان تسرع بخطا الشعوب الى مرافق الصعود

ومعناه انه اذا كان ماضي الامة عظيماً محترماً في التاريخ نحرس على ان يكون اعظم احتراماً
في حاضرها او على ان تسترد ذلك الاحترام اذا فقدت شيئاً منه . واذا كان ماضيها
سبباً غير محترم في التاريخ تدأب على التخلص منه . وتطلب لنفسها حاضراً أسعد منه .
فالنتيجة واحدة في الحالين ولكن لمن ؟ ومن يحصل على مثل هذه النتيجة من الامم ؟

تحصل عليه أمة تعلم ان لها تاريخاً تدرسه وماضياً تبحث فيه وترجع اليه لاسيما اذا
كان تاريخاً مجيداً له آثار معروفة في الوجود واثراً محقق في الاجتماع . والامة كالفردي
تخورة بالماضي الجليل اذا تمثل لها قفح فيها من روحه فملاًها نشاطاً ودفعها الى الامام
اشواطاً

وان امة لا تعرف تاريخها أحربها ان يتكرها الزمان وتزدرى بها الشعوب لجهلها
بماضي التاريخ وتتكبرها الانسانية وتتكبرها السماء والارض

ان المدنية الاسلامية التي رفع منارها اسلافنا الطاهرون وغيرت شكل الارض

(١) محاضرة الفاضل رفيع بك العظم سيف متدي القونلي في دمشق يوم ١٤ شعبان

سنة ١٣٢٨

ومجرى الاجتماع كان لمدابنكم هذه حظ وفير منها لاسيما في التوفر على انشاء معاهد العلم ودور التربية والتهديب

هذا ايها السادة مدعائي لان افق ينكم خطيباً افصح صحيفة من ماضي التاريخ فبا يتعلق باسلافكم الغابرين ومدابنكم الشيوخ وفيها ذكرى للذاكرين « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين »

ان هذه الذكرى ما تروته في هذا الكتاب الضخم المشتمل على الـ ثلاثمائة وستين صفحة وهو كتاب (المدارس في المدارس) تأليف العلامة المؤرخ محمد بن محي الدين النعماني وهو خاص بما أنشئ من معاهد العلم والمساجد ودور العجزة (التكايا) في دمشق وقد بلغ عدد ذلك مائتين وبضعا وثمانين لو وزعت المدارس منها على السنين منذ انشاء اول مدرسة في القرن الخامس الى سنة احدى وتسعين واربعمئة الى عهد المؤلف في اواخر القرن التاسع لاصاب دمشق كل سنتين مدرسة تفتأ اودار العجزة والمرضى تشاد هذا فضلا عما أنشئ من المدارس بعد ذلك التاريخ ولم يدركه المؤرخ المذكور وهذا فهرست الكتاب نتلو عليكم بعضا من اسماء المدارس التي جاءت فيه ولا اطيل خوفا من ضيق الوقت

اما تاريخ انشاء هذه المدارس بالضبط والاقواف التي حبست على الطلبة فيها والعلماء الذين نبغوا منها ودرسوا فيها كل هذا مذكور في صلب الكتاب وليس في الوقت متسع لتلاوته عليكم كما ترون من حجم الكتاب وحسبكم ان ممن درسوا في هذه المدارس وتولوا رياستها او نبغوا فيها من علماء الشريعة مثل الحافظ الذهبي صاحب التاريخ المشهور والامام ابن تيمية صاحب التأليف الكثيرة وقاضي القضاة صدر الدين الازرعي صاحب الجامع الصغير والعماد بن كثير والنووي وابن الصلاح والحافظ جمال الدين المزي واشباههم من العلماء الكبار ومن علماء الطب مثل الرؤساء ابن ابي أصيبعة صاحب تاريخ الاطباء ومهذب الدين بن الحاجب ونجم الدين البودي وموفق الدين بن المطران ومهذب الدين الدخواز وعماد الدين الديسري واغرابهم

ومن علماء العقلات والرياضيات والموسيقى مثل محمد بن ابي الحكم الباهلي وعمر الدين السويدي وابي الفضل الحارثي المهندس الذي كان باب الجارستان النوري القائم الى اليوم من عمل يده واغرابهم

وها انا اترأ لكم مثالا واحداً من ترجمة هؤلاء الرجال فاسمعوا ما قال تاريخ المدارس هذا في ترجمة افضل الدين ابن ابي الحكم نقلاً عن الصفدي
(محمد بن عبد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلي) هو افضل الدين ابو المجد بن ابي الحكم من الحكماء المشهورين كان طبيباً حاذقاً وله يد طولى في الهندسة والنجوم (اي علم الفلك) وله في سائر الآلات المطربة يد عمالة وعمل اورغنا وبالق في اتقته وقرأ على والده وغيره في الطب وكان في دولة نورالدين بن الشهيد ولما عمر البيارستان والمستشفى النوري بدمشق جعل امر الطب فيه اليه الى آخر ما قال

هؤلاء الرجال الذين ذكرتهم لكم وهذا الفضل الكبير منهم وعدد كثير مثلهم من اهل الشهرة بالعلم والفضل درسوا في هذه المدارس او تخرجوا على رؤسائها ومشايخها ثم ملأوا المكتبة العربية بالمولفات النافعة في كل فن ومن راجع منكم كتاب النكواب لابن عروة الحنبلي في اكثر من مائة مجلد وتاريخ الحافظ ابن عساكر في اكثر من عشرين مجلداً وهما موجودان اليوم في المكتبة العمومية في مدرسة الملك الظاهر بدمشق وقاس عليها ما ألفه علماء تلك الزمان الافاضل وما قبلها من الكتب في علوم الشريعة والادب واللغة والتاريخ والتراجم والفلك والطب والرياضيات كالفنسة والحساب وغير ذلك من العلوم علم مقدار مال هذه المدارس ومؤسساتها من الفضل على الامة وما للتابعين فيها من الاثر العظيم في الوجود بما سهره من الليالي الطوال في التحرير والتعبير وما عانوه من التعب في وضع كتب العلم لافادة الناس حتى ملأوا بها المكاتب ونشروا العلم : وما قولكم في ان عالماً واحداً من علماء الطب وهو موفق الدين بن المطران المتوفى سنة سبع وثمانين وخمسائة ترك في مكتبته عشرة آلاف مجلد في الطب والعلوم الحكيمة كما ذكر ذلك ابن ابي أصيبعة في ترجمة الموما اليه

ولا يظنن بعضهم ان هذه المدارس كانت مدارس دينية فقط وان اكثر علمائها وطالباتها من طلبة العلوم الشرعية وآلاتها كلا فان فيها مدارس لغبر العلوم الشرعية كالطب مثلاً ومن هذه المدارس المدرسة الدخوازية والدينيسرية واللبودية كما سترون ذلك فيما يأتي من الكلام ان شاء الله

ولقد اخبرنا التاريخ ان معاهد العلم كانت مشاعة بين طلابه من كل فن وان الطبيب او الفلكي مثلاً كان يلقي دروسه في اي مدرسة كانت من مدارس العلم له فيها وظيفة

بل في الجوامع والمساجد ايضا لانها كانت قبل ان توجد المدارس على شكلها المعهود اي قبل القرن الرابع اشبه بمدارس للعالم بل هي المدارس بعينها وما زالت كذلك معاهد العلم والعبادة معا الى اليوم كما تطلعون
واذكر لكم مثالا واحداً على ان المدارس كانت مشاعة لطلاب كل علم ما نقله ابن ابي أصيبعة في ترجمة رفيع الدين الجيلي قال :

« وكان مقبياً في دمشق وهو فقيه في المدرسة العذراوية داخل باب النصر وله مجلس للمستغنين عليه في انواع العلوم والطب وقرأت عليه شيئاً من العلوم الحكيمية » واعلموا ايها السادة ان كثيراً من علماء الشريعة مثل الجيلي جمعوا بين العلوم الشرعية والعقلية والطب والفلك والرياضيات وكلهم من خرجي هذه المدارس بالضرورة ومن جاء ذكرهم من هؤلاء في هذا التاريخ واذكره مثلاً للباقيين احمد بن الحسين الدمشقي واليكم ماجاء من ترجمته في هذا الكتاب نقلاً عن ابن كثير .

(الجلال المحقق احمد بن عبدالله بن الحسين الدمشقي) اشتغل على مذهب الشافعي وبرع فيه وافني واعاد وكان فاضلاً في الطب وقد ولي مشيخة الدخوازية (مدرسة طبية) لتقدمه في صناعة الطب على غيره وعاد المرضى بالبيمارستان النوري على قاعدة الاطباء وكان مدرساً بالشافعية بالمدرسة الفروخشاهية وبعيداً بعدة مدارس الى آخر ما قال

هذا يدلكم على ان العلوم كانت مشاعة بين العلماء وان العالم بالشرع قد يكون عالماً بعلوم أخرى من العلوم النظرية والعملية كالفلسفة والطب والموسيقى والفلك والرياضيات وغيرها من العلوم التي قامت على دعائمتها المدنية الاسلامية وكانت الحلقة الوسطى بين المدنية القديمة والمدنية الحديثة حتى اعترف بفضلها على التمدن الغربي كثير من علماء التاريخ والاجتماع في اوروبا كدروني ومونتسكيو وكوستافلوبون وافردوا للمدنية الاسلامية كتباً خاصة اتوا فيها على ذكر ما تركته هذه الحضارة من آثار الترقى والعالم التي يجعلها اهل هذا العهد باللاسف والعار

نحن الآن ايها السادة بصدد علماء دمشق في القرون الوسطى وانما هم حلقة من سلسلة تلك المدنية الاسلامية التي اخنى عليها الزمان واذا سمحتم لي فاني اختم كلامي بنبذة من تاريخ تلك السلسلة بعد استيفاء الكلام على كتاب الدارس هذا ان شاء الله

علمنا مما سبق عدد المدارس ودور الهجرة التي انشئت في مشق ولكن من الذي انشأ هذه المدارس ورفع بنيانها وادر الخيرات عليها وانفق من ماله على طلابها هي الحكومة او الافراد او الجماعات ؟

بلغ بنا الضعف ان صرنا كالاطفال نطلب كل شيء من الحكومة كما يطلب الطفل كل شيء من والديه اما اسلافنا فلم يكونوا كذلك بل كانوا استقلاليين اكثر منهم انكاليين يعرفون قيمة الاعتماد على النفس فكان الفرد الواحد يقوم بما تقوم به الجماعة او يطلب من الحكومة اليوم

ولهذا فان كل ما جاء ذكره في هذا الكتاب من المساجد والتكايا والمدارس انما انشأه الافراد وقام بمال اهل السخاء والجود من اسلافكم الطيبين لمحض الخير وارادة نشر العلم وخدمة الوطن والدين

لم يختص بهذا العمل الجليل والشرف الرفيع الملوك والامراء وذوو السلطة كما قد يتوهم بعضهم كلا بل كان الافراد من كل الطبقات من اهل اليسار يتسابقون الى اقامة المعاهد العلمية حسبة لله وحباً بعمل الخير واستبقاء للذكر الصالح في الوجود

فالتجار والعلماء والسيدات هم الذين اسسوا هذه المدارس كل مدرسة يؤسسها شخص بمفرده ويحبس عليها من ملكه ما يكفي ريعه لبقائها بل اقول لكم والحجل يكاد يمتنعني من التكلم والحزن يوشك ان يعقد لساني ان العبدان — عبدان اسلافكم ايها السادة — شيدوا باموالهم بعض هذه المدارس ورفعوا منار العلم فيها للفضيلة كم ترفع العبدان الى منزلة السادة في حين تخط السادة الى منزلة العبدان

ان العبدان كانوا ارفع نفوساً واحسن كفوفاً منا الآن بالغجل والخمران ان الكلام وحده لا يغني عن البرهان وانكم تنتظرون مني الدليل بعد هذا البيان واليك امثلة من عمل العلماء • والتجار • والسيدات • والعبدان

قال المؤرخ في فصل عقده لمدارس الطب

(المدرسة الطبية الدخاوية «الدخاوية») المدرسة الدخاوية بالصاغة العتيقة بقرب الخضراء قبلي الجامع الأموي انشأها مذهب الدين عبد المنعم بن علي بن حامد المعروف بالدخاوي في سنة احدى وعشرين وستمائة بالصاغة العتيقة كما تقدم واول من درس فيها واقفها ثم من بعده بدر الدين محمد بن قاضي بعلبك ثم عماد الدين الدينسري وهو بها الى الآن

(المدرسة الدنيسرية) غربي البجارسنن النوري والصلاحية بآخر الطريق من قبلة قال الذهبي في العبر في اخبار سنة ست وثمانين وستائة

« عماد الدين ابو عبدالله محمد بن عباس الربيعي » الرئيس الطيب ولد بدنيسر سنة ست وسمع بمصر من علي بن مختار وجماعة وثقة له للشافعي وصحب البهاء الزهير وتأدب به وصنف الى ان قال نقلا عن الاسدي : العماد محمد بن عباس الحكيم البارع في الطب صاحب المدرسة للاطباء بالقرب من بيارستان نور الدين الشهيد الخ .

(المدرسة البوذية) البوذية النجمية مدرسة خارج البلد ملاصقة لبستان الفلك المشيري انشأها نجم الدين يحيى بن محمد بن اللبودي في سنة اربع وستين وستائة : الى ان قال نقلا عن ابن ابي أصيبعة . كان علامة وقته وافضل اهل زمانه في العلوم الحكيمة الخ

هذه امثلة من عمل العلماء : واسمعوا مثالا من عمل التجار في سبيل الخير والعلم والمنفعة العامة لم يعمل مثله احد من اغنياء هذا الزمان

(المدرسة المزلقية) بطريق مقابر باب الصغير الآخذ الى الصابونية انشأها تاجر الخالص الشريف شمس الدين ابو عبدالله محمد بن علي بن ابي بكر المعروف بابن المزلق ميلاده سنة اربع وخمسين وسبعائة وكان ابيه لباتنا ادركه جماعة وهو يبائس ملبنة عند جامع بلبغا قنشا ولده هذا ودخل في البحر وحكى عن نفسه ان اول سفره سافرها كسب فيها مائة الف دينار وثم ثمانية الف درهم وانفتحت عليه الدنيا وعمر املاكا كثيرة وانشأ على درب الشام الى مصر خانة عظيمة بالقيبطرة وجسر يعقوب والمنية وعيون التجار اتفق على عمارها ما يزيد على مائة الف دينار وكل هذه الخانات فيها الماء وجاءت في غاية الحسن ولم يسبقه احد من الملوك والخلفاء الى مثل ذلك وهو صاحب المآثر الحسنة بدرب الحجاز ووقف على سكان الحرمين الشريفين الاوقاف الكثيرة الحسنة وعين للحجرة الشريفة على الحال بها افضل الصلاة واتم السلام الشمع والزيت في كل عام الى آخر ما قال

وهذا مثال لتاجر غيره ايضا : (المدرسة الرواحية) شرقي مسجد ابن عروة بالجامع الاموي ولصيقه شمالي جيرون وغربي الدويلة وقبل السيفية الحنبلية : قال ابن شداد بانها زكي الدين ابو القاسم التاجر المعروف بابن رواحة وقال الذهبي في تاريخه العبري

من مات سنة اثنتين وعشرين وستائة والركي بن رواحة هبة الله بن محمد الانصاري
التاجر المعدل واقف المدرسة الرواحية بدمشق واخرى بحلب الخ
ومن امثلة عمل النساء : (المدرسة العالمية) العالمية شرقي الرباط الناصري غربي
سفيح فاسيون تحت جامع الافرم واقفتها الشيخة الصالحة العالمة اللطيفة بنت الشيخ الناصح
الحنبلي المتقدم ذكره في المدرسة التي قبل هذه (وهي المدرسة الشنيعة بانها الشيخ ابو
عمر الكبير) وكانت فاضلة لها تصانيف وهي التي ارشدت ربيعة خاتون بنت نجم الدين
ايوب اخت الملك صلاح الدين الى وقف المدرسة صاحبة بقاسيون على
الخطابة الخ

ومن امثلة عمل العبدان والطواشية (المدرسة الصارمية) الصارمية داخل بابي النصر
والجالية قبلي العذراوية بشرق قال القاضي عز الدين بانها صارم الدين ازبك مملوك
قالماز النجبي ورأيت مرسوما بعثتها ما صورته

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا المكان المبارك انشاء الطواشي الاجل صارم الدين جوهر بن عبدالله الحر
عتيق الست الكبيرة الجليلة عصمة الدين عذرى ابنة شاهنشاه رحمها الله تعالى الخ
ارأيت ايها السادة بماذا قامت هذه المدارس وبمن وكيف ان الافراد من اسلافكم كانوا
يعملون مالا يعمل الجماعات منكم اليوم

ان الافراد هم الذين ينهضون بالام وان المدنية الاسلامية التي نلت عليكم حلقة
من سلسلتها العظيمة كان للافراد شأن عظيم في وضع دعائمها وتشييد بنيانها
تعملون ايها السادة ما كان لترجمة كتب اهل التمدن القديم كاليونان والفرس الى
العربية من الاثر الكبير في تأسيس المدنية الاسلامية في بغداد على عهد الخلفاء
العباسيين وقد يتوهم بعضهم ان الذي عني بترجمة هذه الكتب انما هم الخلفاء وحدهم
واخصهم امير المؤمنين المأمون والحال ان لكثير من الافراد ورجال الفضل والتبيل
من الامة يدا لاتنكر في هذا السبيل .

وهذا يدلكم على ان عمل الاشخاص منفردين لا يقل تأثيراً في الهيئة الاجتماعية عن
عملهم مجتمعين

ولذا فلا ابالغ اذا قلت ان نوابغ الامة الذين خدموا بذكائهم وعلمهم المدنية وشيدوا

أركانها الرفيعة انما قاموا بهذه الخدمة وقامت تلك المدنية بفضل اهل السخاء والجود من محبي العلم والترقى وانصار النجاح الذين كانوا ينفقون من مالهم على المترجمين للكتب العلمية الى اللغة العربية

ومن هؤلاء الافاضل الاجواد الذين رصدوا جزءاً كبيراً من اموالهم على المترجمين لكتب العلم في تلك العصور : علي بن عيسى العباسي : ومحمد بن موسى بن شاكر الرياضي الشهير : وعلي بن يحيى الكاتب : وابن المدير الكاتب : وثاوري الاسقف : ومحمد بن عبد الملك الزيات الوزير : وبختيشوع الطيب : وبوحنا بن ماسويه الطيب : والعديد الكثير من امثالهم المولعين بالترقى والعلم الذين كان ينفق كل واحد منهم اموالاً طائلة على نقله العلوم الى اللغة العربية حتى لقد نقل ابن ابي أصيبعة عن محمد بن عبد الملك الزيات انه كان ينفق في الشهر الواحد على المترجمين الف دينار . قال هذا فضلاً عما كان ينفقه الخلفاء من بني العباس لهذا القصد

انا والله نتمنى ان تجمع هذه الالف دينار في كل شهر من الف غني من اغنيائنا اليوم لتنفق في سبيل نشر العلم وتربية الناشئة من أبناء الاوطان ولو فعلوا ذلك اليوم لعوضوا ابتائهم اضعافاً مضاعفة في الغد . بل لو فعل ذلك اهل كل ولاية عثمانية لاصبحت المملكة العثمانية بعد عشرين سنة جنة قطوفها العلم وسياجها القوة والحياة . ولنعد الى ما كنا بصدده فنقول :

يمثل هذا البذل على نقل كتب العلم ونشرها بين الكافة والاستفادة منها ظهر اركان النهضة في الشرق الذين ارتفع بهم شأن التقدم الاسلامي وذلك مثل بني موسى بن شاكر المهندسين الرياضيين في عصرهم وبني بختيشوع وبني سهل وبني ماسويه وبني حنين وبني ثابت بن قرة وبني زهرون وابي عثمان الدمشقي وابن كرنيب ويحيى بن عدي المنطقي وابي الفرج الطيب وابي الريحان البيروني والشيخ الرئيس ابن سينا وابي نصر الفارابي والفخر الرازي وابن الشاطر واضرابهم من العلماء الذين ظهروا في الشرق في عصور متفاوتة ابان الحضارة الاسلامية

ومثل بني زهر ويحيى بن السمينه وابي القاسم المرحلي امام الرياضيين والفلكيين في عصره وابن السمع الغرناطي المهندس وسعيد بن عبد ربه وابي جعفر البرحالي وابي الوليد ابن رشد وابنيه محمد واضرابهم ممن ظهروا كذلك في الغرب

ومثل ابن الهيثم البصري صاحب التآليف الغزيرة في الرياضيات والفلك والمبشر ابن فائق وعلي بن رضوان وتلميذه افرائيم بن الزفان والشيخ السديد رئيس الاطباء وشمس الرياسة بن جميع الاسرائيلي ورشيد الدين ابي حليقة وامثالهم ممن ظهروا في مصر كل هو لاء من علماء الفلسفة والطب والرياضيات والحكمة الطبيعية وغيرها من العلوم ونسبتهم كنسبة واحد في المائة ممن ظهروا في عصرهم وبعده في الشام وبغداد ومصر وفارس والمغرب والروم اي آسيا الصغرى وغيرها من الامصار ونهضوا بالامة واعلوا ذكر المدنية الاسلامية في الشرق والغرب وانما وضع لهم الاساس افراد من الامة قدروا قدر العلم فشيّدوا معاهدته وترجموا كتبه واكرموا اهله فتكون من عمل اولئك وهو لاء وتعاونهم جيلا بعد جيل بناء تلك المدنية العظيمة التي فقدناها بعد ولم نستطع اللحاق بابناء التمدن الحديث لاعراضنا عن العلم وغفلتنا عن تحدي الامم الراقية وقبض اكفنا عن امداد معاهد العلوم وانشاء دورها مع اننا قد يطلب منا الآن ونحن جماعات فلا نجيب ما كان يعمل به الافراد من اسلافنا من تلقاء انفسهم وبمحض رغبتهم بالعلم والمعارف وحبهم للارتقاء فما هذا الفرق العظيم .

وبالجملة ايها السادة انا ممة ذات ماض مجيد وتاريخ جميل وقد ترك لنا اسلافنا درساً لا يمحوه الزمان ونقش في كل زاوية من المشرق ومكان فلن يبلغ بنا ضعف النظر اضعف القلوب والهيم او فساد الاخلاق واستحالة الدم الى ان تناساه ولا تقرأ صحفه الزاهية التي يدعوننا كل سطر منها الى التذكر والتفكير والسعي الحثيث الى الترقى الذي مناهه العلم والعلم يحتاج الى المال . فلما لا المال الكرم الكرم الانتباه الانتباه والا قضي علينا بالدمار ولحق بنا العار وتبرأ منا اسلافنا الظاهرون ولا يكون ذلك ان شاء الله مادام فينا الكرام الغيورون والرجال المفكرون والسلام عليكم



اغنياؤنا

قال لنا منذ مدة احد اعيان دمشق اني اضطرت لفاتكة اصابني ان ابيع عقاري من عقاري افتدري من كان يزيد فيهما ؟ قلنا لا ندري . قال كان يزيد فيهما اناس لا يتصور العقل ان عندهم قوت شهر واحد اناس يلبسون خلق الثياب ولا تعدم من كبار السوقة بل من صغار المرتزقة اما من كانت بظن انهم سيثقفون ذينك العقارين فلم

يساموننا عليهما بفلس واحد لانهم لا نقد عندهم وربما كان نقد ير الناس الاموالهم هو دون الحقيقة بمراحل .

واجتمعنا من المساء بمجلس غاص بالمفكرين وارباب التجارب فقص علينا احدهم ان المزرعة الفلاية التي يراد بيعها في الغوطة قد انتهت ثمنها الى عشرين الف ليرة علي رجل لم يكن يظن انه يملك عشر معشارها من الثروة حتى قال انه يدفع قيمتها حوالة علي المصرف دفعة واحدة ثم اجعت آراءه الحضور علي ان ثروة دمشق قد زادت في العشر سنين الاخيرة زيادة محودة بداعي الاموال الطائلة التي بذرتها فيها ادارة السكة الحجازية وهي لا تقل عن مليوني ليرة وادارة الترامواي الكهربي الذي انفق نحو مائتي الف ليرة وما عقب قرب المواصلات من ورود السائحين والحاجين الي دمشق ذاهبين منها وجائين وماتقلته السكك الحديدية من غلات البلاد القاصية فتقدر ماحملته سكة حوران وحدها من الغلات في العام الفائت بثانين الف طن والطن اربعة قنطير دمشقية وثمنها يتاخر المليون ليرة وما نقلته سكة حديد حماة بخمسة واربعين الف طن هذا عدا ما نقلته الخطوط الاخرى وسجل كلى متون الدواب والجمال من الغلات والثمرات حتى عمرت بذلك قرى حوران وكانت خرابا يبابا منذ بضع سنين وغدا الحوران في اليوم يلعب بالليرات كما يلعب جاره الفلاح المصري بالجنيهات هذا في اقليم واحد من اقاليم بلاد الشام وفي فلسطين وولاية بيروت وحلب وسورية مقاطعات لا تقل في خصيتها وامراعها عن حوران ولكنها لم تشتهر شهرتها واصبح اهلها بفضل المواصلات والحركة التجارية الجديدة في سعة من العيش تزيد كلما زادتهم الحكومة امنا ووفرت لهم مرافق الحياة .

قالوا وهذه النهضة الاقتصادية في دمشق خاصة لانها قاعدة هذه البلاد والنقطة الوسطى لها واباب الكعبة ومقر الفيلىق ومركز الولاية قد استمتع بخصايها المقاولون والتجارون والحداون والبنائون والحجارون والجالون والعملة والتجار وارباب الفنادق والمطاعم والعربات فتسربت الدراهم والذنانير الي جيوب ارباب الطبقة الوسطى فمن دونها واغنت كثيرين وارتاشوا حتى ان كثيرين من بائعي الفول المدمس لا يرضون من الربح في يومهم باقل من ابرة

كل هذا قالوه وهو صحيح ولكن الواجب علينا ان لا يمر بنا دون ان نتدبر سره الاقتصادي والاجتماعي فالسرفيه ان كثيرين من الاعيان اكتفوا بما حازوه من الثروة ارتأ عن آباؤهم او بفضل سعيهم ولا نقول كيف حازوها والطرق التي سلکوها فمنهم من كانت

ثروته ثمرة الكدح المشروع من تجارة وزراعة وهم فلائيل يمدون نكي الاصابع . ومنهم من اغتنوا بالاتفاق فابتاعوا مثلاً أرضاً أو عقاراً قضت الاحوال بارتفاع اسعاره فاصبح ما يبيع بالف يساوي عشرة آلاف وعددهم محدود ايضاً ومنهم اثروا بما كانت لهم اولاجدهم من النفوذ في الدولة الاستبدادية فكان الفلاحون بأنوسهم باكين شاكين طالبين اليهم ان يرفعوا عنهم ظلم الحكومة او الملتزمين او عرب البادية يأخذوا قريتهم حلالاً زلالاً وهم يكتبون عنهم بالحماية ويدفعون لهم الخمس كل سنة من مجموع ما تبت الارض . ومنهم من تيسر لهم ان يحجزوا وفقاً عظيماً لمدرسة او لمدارس فعمروا ارضه ورياعه فاخصب وعلائقه مع الزمن فاغتنمواهم واولادهم ومنهم من وسدت اليهم الوظائف فباعوا ذممهم وفتحوا بطونهم لاكل الرشي واضاعوا حقوق العباد والدولة حتى جمعوا لهم مقداراً من المال انتوا به الحوائث وعمروا الدور واستثروا المزارع والدساكر . ومنهم من جرأوا نكي استغلال الربا ايام كان ابن حوران مثلاً لفقره يضطر في اكثر سنيه ان يقترض القرش بقرشين وكانت للرايين والصارف ثقة وعرامة فجمعوا من رأس مال صغير كوزاً كبيرة في برهة وجيزة ومنهم من لم يستكفوا من ظلم الفلاح فاكلوا لحمه وعرقوا عظمه حتى تم لهم والناس في غفلة والحكومة في اغفاءة الذن من اغفاءة الصبح نائمة عن رعاياها ان جمعوا ما جمعوا سحتاً بحتاً حراماً لا يجوز عقل من عقول البشر ولا شريعة من الشرائع السماوية والارضية .

هكذا قام اكثر ما شاهدته من الثروات ونكي هذه الاسس قامت ابناءه الامجاد والتقدير رائد اصحابها والامساك طريقتهم الى الجمع . ومن اناه قرش فصرف بعضه واحسن استخدام ما جمع لابد ان يأتي عليه يوم يحوز الغنى وكيف لانتسب بعض الاغنياء الى كرازة الابدي ونحن نراهم لا يسبحون حتى بتعليم اولادهم مع ان تعليمهم باتفاق آراء العقلاء يعادل اطعامهم لقوام اجسامهم وتغذية الارواح مفضلة عند الكثيرين نكي تغذية الاشباح

لو تعلم اولاد الاغنياء التعليم العصري المطلوب ورأوا نكي الاخلاق الفاضلة اخلاق العمل والحساب لما خيف على ثروات آبائهم من التبدد وانوارثوا النسب كما يتوارث النسب كابراً عن كابر فنتسلل الوجاهة في بيوتهم الجليل بعد الجليل والعصر بعد العصر فلا يخافون عيلة ولا يشكون سقوط منزلة . واصدق مثال يصح الاستشهاد به كل حين ما يراه كل انسان من الفروق في حالة المسيحيين والمسلمين وهم ابناء ومان واحد لا يختلفون

في طبائعهم ولا في عاداتهم وهم قد فاقوا المسلمين بمبادي يتعلمونها من اللغات والعلوم وطاب عيش الفقير منهم أكثر من عيش الغني في المسلمين وذلك بفضل ما أعطوه من حسن الترية والحساب للمستقبل وعدم الاتكال على الحكومة واعمالها بل على الكفاءة واستخراج الثروة من المذاهب الطبيعية في المعاش .

وعقد ابن خلدون فصلاً في ان نهاية الحسب في العقب الواحد أربعة آباء فقال « ان بابي المجد عالم في بنائه ومحافظ على الخلال التي هي اسباب كونه وبقاءه وابنه من بعده مباشر لآبائه قد سمع منه ذلك واخذه عنه الا انه مقصر في ذلك نقصير السامع بالشيء عن المعاني له ثم اذا جاء الثالث كان حفظه الانقفاء والتقليد خاصة فقصر عن الثاني نقصير المقلد عن المجتهد ثم اذا جاء الرابع قصر عن طريقته جملة واضاع الخلال الحافظة لبناء مجدهم واحقرها وتوهم ان ذلك البنين لم يكن بمعانة ولا تكلف وانما هو امر وجب لم منذ اول النشأة مجرد اتسابهم وليس بعصاة ولا بخلال لما يرى من التجارة بين الناس ولا يعلم كيف كان حدودها ولا سببها ويتوهم انه النسب فقط فغيراً بنفسه من اهل عصبته ويرى الفضل له عليهم وثوقاً بما ربي فيه من استنباعهم وجهلاً بما اوجب ذلك الاستنباع من الخلال التي منها التواضع لم والاخذ بجماع قلوبهم فيعقرهم بذلك فينغصون عليه ويحتقرونه ويدبلون منه سواء من اهل ذلك الميث ومن فروعه في غير ذلك العقب الاذعان لعصبته بمعد الوثوق بما يرضونه من خلا له فتتفرع فروع هذا وتندوي فروع الاول ويندم بناء بيته هذا في الملوك وهكذا في بيوت القبائل والامراء واهل الصبية اجمع ثم في بيوت اهل الامصار اذا انحطت بيوت نشأت بيوت اخرى من ذلك النسب ان يشأ بذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز

« واشترط الاربعة في الاحساب انما هو في الغالب والا فقد يدر البيت من دون الاربعة وتلاشي وينهدم وقد يصل امرها الى الخامس والسادس الا انه في الخطا وذهاب واعتبار الاربعة من قبل الاجيال الاربعة بانه مباشر له ومقلد وهادم وهو اقل ما يمكن وقد اعتبرت الاربعة في نهاية الحسب في باب المدح والثناء قال صلى الله عليه وسلم انما لكرم ابن الكرم ابن الكرم يوسف ابن يعقوب ابن اسحاق ابن ابراهيم اشارة الى انه بلغ الامة من المجد وفي التوراة ما معناه ان الله ربك طائفي غيور مطالب بذنوب الآباء للذين على التوالد وعلى الروابع وهذا يدل على ان الاربعة الاعقاب غاية في الانساب والحسب اه

وبعد فان من سنن الكون ان لا يظل الغني غنياً ولا الفقير فقيراً وان من رأتهم اغتنوا في العهد الاخير بالنسبة لمجموع ثروة الامة هم الذين سعوا الى الرزق من ابوابه ومعظمهم بوثرون حتى بعد ان اغتنوا ان يعيشوا عيش البساطة فدخل احدهم فائض كثيراً عن خرجة ولا يبعد ان يجي يوم يتولى اولئك الذين لا تعرفهم الآن او لا تريد ان تعرفهم ازمة الامور ويصبحون هم اعيان البلاد خصوصاً اذا داووا ارواحهم وارواح ذرارهم بترياق التعليم وبلمس التريفة الحديثة وطبعوا أسرارهم بطابع الاستقلال لا بطابع الاتكال في الاعمال . ربهم ليكونوا اعضاء عاملة في المجتمع البشري لا ليكونوا فقط آمريين ومأمورين . ربهم ليعرفوا قدر المال وطرق كسبه من الوجوه المشروعة المعتولة لا بالاحتيال والنصب وخبث الطعنة وسوء الفالة . ربهم كما يربي الانكليزي ولده فيعلمه حتى اذا بلغ اشدّه بلقيه برضاه في معترك الحياة مانعاً عنه كل موهنة مالية لا كما يربي الفرنسي ولده فيعلمه ما اراد فاذا شب لا ينفك عنه فيزوجّه ويعطيه وربما حرم بناته حتى يخلف قدراً أكثر لبقه



التعليم الوطني

من اهم المسائل الاجتماعية في العالم مسألة التعليم فهو الذي تحصر عليه الامم حرصها على حياتها . والتعليم الوطني هو ارق انواع التعليم به تحفظ الجنسيات واللغات ويبقى على العادات والقوميات ولذلك تجد العراك في هذا الشأن على اشد ما يكون بين الامم الغالبة والامم المغلوبة فالبولونيون لا يشتركون من الالمان والنسويين والروسيين الا لان كلا من المانيا والنمسا وروسيا تحاول ان تصبغ البولونيين بصبغتها . والجزائريون لا يتأفقون من فرنسا الا لانها تنوي القضاء على جنسياتهم لغتهم ودينهم بقلبيتهم المبادي الفرنسية واللغة الفرنسية . والكوريون لا يغضبون على اليابانيين الا لان هو لا يحبون ان يصبغوا اهل كوريا بصبغتهم ويطبعونهم على مناحيهم . واهل الازناس واللورين لا يكونون الالمان الا لانهم يرمون الى تربيتهم على الاسلوب الالمانى وتلقينهم اللسان الالمانى ليسوا مع الزمن لسانهم وقوميتهم كما نسي اهل شلزيك هولشتاين الدانير كيون لغتهم بانضمامهم الى بروسيا . والجلاويون لا يثأهون من هولاندة الالمانية في نفستهم على مناحيها .

والهنديون اعظم مايقمونه على الانكليز تلقينهم الناس حب انكثرا وعظميتها ولغتها
وان كان الانكليز اكثر الامم مراعاة لمواطنيها لولوبين على امرهم

وهكذا لو استقر بنا تاريخ الانسان الى اليوم والى ابعد اليوم فبده عبارة عن سلسلة
ظلمات منشأوها سوء التفاهم بين الناس يريد القوي ان يسخر الضعيف ويطبعه على
منازعه لاعتقاده بانه اولى منه كبراً واكثر علماً وادباً وارجح عقلاً وانجح سعيأشأن
العالم مع الجاهل يود ان لاتمر به ساعة الا ويعلمه شيئاً ليقربه منه ويحسن الانتفاع به
ولكن ماكل قوي يكون اعلم من ضعيف ولاغالب اقفل من مغلوب وتدر في الناس
والامم من يقر بارجحية غيره عليه ولو كان الحق في ذلك اوضح من فلق الصبح .

نقول هذا ونحن نرى التعليم الوطني في مصر والشام وهما ارق البلاد العربية
في الحضارة والتعلم على اضعف ما يكون وان كانت مصر سيدة البقاع في هذا لاف
اتباه الناس منذ سنين لجعل طبقات التعليم بالعربية بعد ان كاد يصبح كله بالانكليزية
لا بد ان يحفظ على المصريين لغتهم واخلاقهم وتقاليدهم اكثر مما يحفظها على السوريين
مثلاً . فقد عبثت بالاوربيين دواعي التفريق في الوطنية وضعفت ملكتهم افهم بقوة المدارس
الغير الوطنية في ديارهم . فان كانت هذه المدارس قد نفقت سورية بما ادخلته اليها
من النور القليل فقد انسرته بالخلال عقدة الوطنية فمدارس الاميركان والروس واليونان
والفرنسيس والانكليز والالمان قد اصلحت وافسدت . اصلحت بثلقين من تخرجوا
فيها شيئاً من معارف الغرب واضعفت في نفسهم حب الوطن بتحببها اليهم او طائفاً غير
اوطانهم وتعريفهم الى رجال غير رجالهم ومساوئها في اعينهم الامم . والعاقلة من حرص
على نفع امته قبل كل نفع وانفع بما عنده قبل ان يتطال الى ما عند غيره

رأينا افاضل الطبقة التي نشأت من مدارس الفرنسيين والاميركان والروس في
ادوار مختلفة فلم نشهد فيهم الا النادر من يفار على وطنه كما يفار على حرمه فكنا اذا حدثناهم
بما تصير اليه حالة لغتهم ووطنيتهم بتخليهم عنهما قالوا واي نفع يرتجى لمن يتعلم اللغة
العربية وهل هي الا لغة قوم بادوا وانقضت ايام سعدهم ومن يفهم لنا ان نعيش اذا
تعلمنا اللغة العربية ولذلك كانت اقل لغة من لغات العالم المتحضر اكثر فائدة . اما حالتهم
في اخلال عقدة الوطنية فادى وامر . ومن زهد في لغة آبائه وجدوده كان حرباً
بالزهد في وطنه ووطنيته . واللغة والوطن يصح ان يكونا اسمين لمسمى واحد .

شهدنا اناساً قليل عنهم انهم حاملون للشهادات العالية من مدارس الاجانب فكنا

نساء لم بعض الاسئلة البسيطة في تاريخ امهم وبلادهم فما كانت اجوبتهم الا استهزاء بما يترتب على معرفتهم ذلك من الفوائد وكان اسر ما يجنبنا به احدهم انه يعرف تاريخ روسيا واميركا او انكلكرا او فرنسا معرفة جيدة ويوردون لنا ايام تلك الامم واسماء رجال الحرب والسياسة والعلم فيهم ويعجزون عن ذكر شيء من تاريخ بلادهم الا القليل الذي تلتفوه بالسماع من العامة . هذا في ناشئة المدارس الاجنبية الذين هان عليهم ان يغادروا بلادهم واكثرهم نزحوا الى مصر واميركا وغيرها واختاروها موطناتهم وربما حدثتهم انفسهم ان يتجنسوا بالجنسية الاجنبية لانه لا ترجى لهم عودة الى بلادهم وقد ملئت نفوسهم بحب من تخرجوا بهم .

وهناك طبقة ومعظمها من المسلمين تخرجت في مدارس الحكومة فخرجت اقرب الى العجمة منها الى العربية لان المدارس الاميرية ما رحت الى اليوم وقبل اليوم تعلم اللغة العربية تعليما صورياً وتوفر عنايتها بالتركية لغة البلاد الرسمية وانا لنخجل ان نقول ان سورية قد نشأ منها زهاء خمسمائة ضابط ونحوهم واكثر من الموظفين لا يعرفون من اللغة العربية الا ان يشكوا الكلام العادي البسيط واكثرهم يمزجونه بالفاظ تركية لا يفهمها ابن العرب ويعتذرون عن قصورهم بانهم لم يتعلموا في المدارس لغة آبائهم واجدادهم ومن يتدرون منهم على الكتابة الصحيحة بلغتهم فانفراد يعدون على الاصابع لعلوها في الغالب بعد ان انجزوا دروسهم . والمتخرجون في مدارس الحكومة لا يحسنون في الاكثر تاريخ الدولة العثمانية فضلا عن تاريخ العرب واجداد اسلافهم

جنت مدارس الاجانب والحكومة على هذه البلاد اعظم جناية لان المتخرجين فيها ومعظمهم من الذكاء على جانب عظيم لم ينفعوا الدولة حتى النفع ولم ينفعوا البلاد التي ولدوا فيها فترام ضعافاً في حبهم اوطانهم فاما ان يتنقلوا في الوظائف واما ان ينقلوا من البلاد جملة فترام منهم الامة التي اولدتهم والسماء التي اظلمتهم والارض التي اقلتهم والبلاد لا تعمر الا بايدي ابنائها بعد ان قيل سيفي الامثال « قتل ارضاً عالمها » وهل اعلم بها من ابنها .

ابحث عن تخرجوا في هاتيك المدارس منذ ثلاثين سنة تجدهم الا قليلا جداً وقفوا انفسهم على نفع غيرهم واحترقوا جنسيتهم ولغتهم وربما كان عدد المحترقين لها في ناشئة المدارس الاميرية اكثر من متخرجي المدارس الاجنبية لان هؤلاء يرون باحتكاكهم بالاجانب يبلغ تنافى هؤلاء في انهاض امهم وحبهم لغتها وثقاليتها ومدارسهم عناية

بالعربية أكثر من المدارس الاميرية فاذا كان الطالب حصيلف الرأسى لا ينطلى عليه محال من عملونه ولكن من اين له وطنية كوطنيتهم وغيره كغيرتهم وهو لا يعرف من اسباب وطنيته حتى ولا لغتها ولا من مجد اجداده الا قشوراً ولا من حاجات بلاده وقانونها الا تافهاً . وهل غير القوي بدافع عن حوزة، وغير العاقل يحفظ بعاداته ولغته والتتوة لانتشأ الا بالعلم والتربية الوطنية

ان المدارس الغير العربية في سورية اشبه بالسارق الذي يسرق الاعلاق ونفائس المتاع . استغفر الله بل ان من يسرق فلذات الاكباد ليخرجها على ما اراد اشق على النفس وطأء واعظم في المغبة اثرأ وهل بقاس سارق الاموال يسارق الاطفال والرجال اولبست الارواح اثمن من كل بضاعة وهل اعز من الولد على قلب ابويه

وليس معنى هذا الدعوة الى مقاطعة المدارس الغير العربية فان اهل هذه البلاد لاغنى لافراد منهم عن تعلم اللغة التركية لغة السياسة الجامعة ولا عن تلقف بعض اللغات الاوربية الراقية كالانكليزية والفرنساوية والالمانية والايطالية ولكن الواجب ان يتعلموا ماشاءوا من اللغات والعلوم بعد ان يحكموا لغتهم كتابه وخطابه حتى لا يسرق ابناء سورية بتساهل آبائهم وببهموم من اقوام اخر بالحجان على امل التوظيف في وظائف الحكومة او الاحتكاك بالاجانب احتكاكاً يؤدى في الاكثر الى ارتحال المخرج بهم عن بلده وزعده في وطنه زهداً ابدياً .

ان المدارس التي تعلم على غير الاسلوب الوطني هي التي تسلب من سورية اليوم بعد اليوم روحها وناهب الروح ماذا يدعى في الشرع والعقل ؟ ان لاهل كل قطر منازع خاصة بهم وعادات واخلاقاً ومميزات اذا فقدوها هلكوا وانحل امرهم وآذوا عبثاً ثقيلاً على البلاد لا ينتفعون بها ولا هي تنتفع منهم . فالواجب اذاً انشاء مدارس لاهياء التعليم الوطني لتحيا بجيانه البلاد لان مئة رجل يعرفون الزراعة باللغة الفرنسية اقل نفعاً من واحد يشرحها للعرب بالعربية وقد يكون تعلمها بالعمل لا بالنظر . وهكذا الحال في مئة كاتب متعلم قرأ العلوم والآداب بغير لغته لا يستفيد منه، قومه عشر معشار كاتب واحد يعرف كيف يعلم عامة قومه قبل خاصتهم وجاهلهم قبل عالمهم اصول المعاش والمعاد بلغة ابيه وامه .

ان مما عاق الاتراك عن فهم اسرار الشريعة قلة عنايتهم بالعربية التي يجب على كل مسلم ان يتعلمها والذي عاق العرب عن فهم قوانين البلاد جهلهم بالتركية لغة الجامعة

العثمانية التي توجب السياسة تعلمها فطلت أكثر قوانيننا مكتوبة باللغة التركية ولم يستفد منها الا قلائل من الاتراك وبعض من تعلموا ليتوظفوا من العرب والروم والارمن والارناؤد والاكرد واللاز والفلاخين والبوشاقيين والبلغاريين . ولو تخرج في مدارس الحكومة اناس من العرب يحسنون الكتابة والخطابة بلغتهم كما يحسنونها باللغة الطارئة عليهم لتمكنوا على الأقل من نقل هذه القوانين الى العربية وعرف العثمانيون ما لم وما عليهم واقادوا بلادهم وقوميتهم فائدة كبرى .

ان مما يبكي ان يسن ابن الاستانة قانوناً يحاول تعليقه على ابن حوران وهلا كان الاختلاف في الحاجيات طبيعياً بين تركي وعربي واوربي وآسيوي . ولذلك جاءت قوائم الدروس الجديدة في المدارس الابتدائية والثانوية في الولايات العربية مثل دروس الولايات التركية لا اثر فيها لتعلم العربية الا ان يكون قراءة القرآن في الصفوف الابتدائية ينلى فيها بلا فهم ولا علم

واكبر دليل على ان نظارة المعارف العثمانية جاهلة بطبائع البلاد انها است مدرسة لتخريج المعلمين في دمشق ولم تذكر اسماً فيه للعلوم العربية لغة الدين والبلاد وجعلت الجهد كله مصروفاً الى تلقين التركية حتى لا يعلم الاسانذ الجدد الا مما تعلموه ويكثر عدد العارفين بالتركية والمفهمين من لغتهم فلا يأتى من خصوصاً متى اصبح التعليم الابتدائي اجبارياً الا وقد اعمل العرب لغتهم بناتنا

صرحنا بهذا وان كان فيه غشاضة كبرى على العرب الذين لم يستفيدوا من حرية الدستور حتى الآن وينشأوا على الأقل كتائب منظمة لتلقين لغتهم من اسر الطرق حتى ينفقوا بعد الآن باولادهم حتى النفع ولا يفقدوا عدداً كبيراً ممن يدخلون مدارس الاجانب فتتحل وطنيتهم وتضعف لغتهم . اما مؤسسو تلك المدارس اجنبية كانت او اميرية فانهم يعذرون للسبب الذي اوردناه آنفاً وهو ان القوي يريد ان يستغرق الضعيف سنة من سنن الكون . ولم يبلغ البشر درجة راقية من التمدن حتى تتساوى في عيوبهم اللغات والعناصر كلها وتجرد امة فتفتى لاجياء غيرها وتقتل جنسها لتزيد سواد آخر ولا تمسح ديارها وتريد هدمها لتعمر بانقاضها دار جوارها والسلام .

جبل الدروز وفتنتهم

الى الجنوب من دمشق على نحو عشرين ميلا منها كورة واسعة محصنة الرباع اسمها حوران فيها نحو ستمائة قرية وفي شرقي تلك الكورة اقليم ممرع فيه السهل والجبل الا انه اطلق عليه اسم جبل حوران كما يقال له جبل الدروز الآن لان معظم سكانه منهم وهو يمتد من شمالي حوران الى جنوبيه ويحده من الشمال الصحراء وهي ارض بركانية ذات حرار وعرة للغاية ومن الشرق البادية ومن الجنوب قفر متراعي الاطراف يتصل بوادي الحجاز ومن الغرب الجنوبي الثقرة والثقرة سهل جيد التربة في وسط حوران

وطول هذا الجبل نحو ١٥ ساعة على راكب المطايا وعرضه ٨ ساعات وهو من الجهة الجنوبية والجهة الغربية اي نحو ثلاثة ارباعه سهل خصيب تضاهي تربته تربة السهل من بلاد حوران وغوطة دمشق والبقاع العزيز وربما كانت احسن منها وفيه ١٠٨ قرى ويقدر نفوسها على الخمسين الف نسمة وربما استطاع حمل السلاح منهم نحو ثمانية آلاف ومنهم الذين يشتون الغارات ويقتلون الارباء ويسلبون المارة واقلبيهم هو الاقليم الوحيد في سورية باسرها الذي ازممت فيه الفوضى واحب اهله على قريهم من الحوانر ووفرة غنمهم ان يعيشوا عيش السلب والنهب والقتل يوذون من خالفهم من مجاورهم ويطيرون ايدي اعتدائهم على ابناء السبيل ويناثون الحكومة ويعصون قوانينها فلا يؤدون الضرائب الاميرية والخراج ولا يخفون الجندي واذ لم يجدوا من يقتلونه ويمثلون به يقتلون بينهم كانوا يتعبدون باهلاك العباد والعيث بالفساد في البلاد .

واخر عمل فطيع قاموا به انهم غزوا جيرانهم اهل قريتي معربة وغصم وسكانهم مسلمون ومسيحيون فقتلوا ٥٩ رجلا وامرأة وجرحوا ثلاثة وبين القتل اربع نساء بينهن والدة شيخ معربة وزوجته واخته ونهبوا القسم الاعظم من السهوية وجيزة وسمائية وطيبة من بلاد السهل فطرح كاس الصبر منهم ولم تر الدولة بدا من ارسال حملة عليهم تؤدب عصاتهم وتضرب على ايدي الفوضويين والعدميين منهم وتؤاخذ شاردم وتؤاخذ من خالفهم وتخضعهم للقوانين كسائر الافراد العثمانيين

ولعل كثيرين يفسدون عن تاريخ عمران هذا الجبل ونزول الدروز فيه فال معروف من حاله انه كان في الدول القديمة تابعا لحوران تشهد لذلك الآثار القليلة الباقية الى

اليوم في بعض امهات قراه مثل السويداء ^(١) قاعدته القديمة وصرند وقنوت فان الكتابات اليونانية واللاتينية والبطيية والعربية المكتوبة بخط سباه تدل على انه كان عامراً للغاية

وفي السويداء بل في اكثر قرى الجبل على ما انتابها من الحرب والتدمير بعض الآثار اليونانية والرومانية ^(٢) مثل القنات والمعبود المسلة التي يظن انها من القرن الرابع والخامس للميلاد والجامع الحرب المزبور عليه بعض كتابات يونانية والخزان الكبير لجمع الماء الذي انشي على اكمة تشرف على السويداء وعلى طريق قرية القنوت جسر مهم للناية جعل على عمد هائلة يظن انه من القرن الاول وانه كان ناووساً

والظاهر من عايدات قنوت انها كانت اهم من بصرى قاعدة بلاد حوران كلها وكان فيها ابرشية للروم ولا تزال بعض الطرق هناك مبلطة ببلاط كبير سلم من عوادي الايام ومعظم الدور محفوظة كما كانت بنوافذها وابوابها الحجرية

ومن الآثار التي تجلب الانظار ذاك المسرح « الثياترو » الجليل الذي قام على يمين الوادي واكثره مخفوت في الصخر وقطره نحو ١٩ متراً وفيه تسعة صفوف اسفله على متر ونصف تحت الملعب وفي وسطه حوض ماء وهو مطر على الوادي ومصانع المدينة وجبل حرمون (الشيخ) وفي مكان شامق آثار معبد ذي ادراج في الصخر تؤدي الى برج اصم ربما كان جزءاً من حصن مشرف على المضيق ويسندل من الابنية السفلى ان تار يخبها يرد الى ما قبل عهد الرومان وعلى يالة قليلة نحو الشرق برج عظيم مدور دائرته ٢٥ متراً وربما كان برجاً لدفن الموتى وهناك بعض خرائب كنائس وجادات واروقة وارنجة وبعض قطع من هياكل وتمائيل وملاعب

^(١) قال ياقوت في المشبه السويداء بضم السين وفتح الواو تصغير سودا اربعة مواضع السويداء من قرى حوران من اعمال دمشق ينسب اليها ابو محمد عامر بن دغش بن خضر بن دغش الحوران في السويداء في كان شيخاً خيراً تفقه ببغداد على ابي حامد الغزالي وسمع الحديث من ابي الحسن ابن الطيوري سمع منه الحافظ ابو القاسم الدمشقي واثني عليه خيراً ومات في حدود سنة ثلاثين وخمسمائة والسويداء موضع على لبنتين من المدينة من جهة الشام والسويداء مدينة مشهورة بين آمد وحران من نواحي ديار مضر بالضاد العجمة واهلها ارمين نصارى والسويداء قرية من قرى حماة بينها وبين حمص ^(٢) دليل سورية وفلسطين ليديكر

وعلى ثلاثة ارباع الساعة من قنوات في الجنوب الشرقي قرية ساله وفيها معبد من اهم معابد حوران تشبه هندسته معبد هيرود في القدس وفيه من رسوم الاسود والغزلان والخيول المرسجة وغيرها ما يأخذ بمجامع القلب . وهناك ايضا مذهب في سفح درجات المعبد وكان هذا المعبد خاصا بعبادة العالساء ومن الآثار المهمة آثار شهابا وطرقها معبدة واسعة تكاد تكون اوسع طرق حوران وقد يبلغ عرض الشارع فيها سبعة امتار وستين سنتيمترا .

وليس في الابددي ما يستدل منه على منزلة تلك البلاد من العمران على عهد العرب وكانت قبيل الاسلام منازل قبائل بني غسان كما كانت البلاد المجاورة لها فقد بنى النعمان ابن المنذر الغساني من ملوك القرن الرابع ليلاد قصرآ في السويداء بقي منه بعض جهاته ووجدت في صرخد ^(١) صخرة اللات التي عبدها الانباط والعرب كما ذكر هيرودوتس وعليها كتابة تدل على انها نصبت لذي الشرى وهو معبود نبطي له آثار في بصرى وبقرة (وادي موسى)

والغالب ان صرخد حازت في الاسلام مكانة اعظم من مكانة السويداء فبالغ الملوك بتحصين قلعتها ليدفعوا عوادي البدو عن القرى العامرة وقد كثرت ذكرها في كتب التاريخ على عهد الدولة الصلاحية ومن بعدها من دول الجراكسة خصوصا بعد ان استولى على الكرك والشوبك وغيرها من الحصون المجاورة الملك الناصر السلطان صلاح الدين بن ايوب وولى اخاه الملك العادل ابا بكر بن ايوب عليها واصبح لتبنيك المدينتين شأن عظيم حتى عدت الكرك من الممالك مثل مملكة بعلبك ومملكة حماة ومملكة شيزر وغيرها ومعظم هذه الممالك اصيحت بمد قرى حقيرة في القرون الاخيرة لغلبة الجهل على الحكومات التي تعاورتها وقللة الامن وانقياب التارات والزلازل والابوثة التي اجتاحت سكانها .

ويؤخذ مما رواه ابو الفداء صاحب حماة ان بلاد صرخد وما والاها وبشارة اخرى جبل الدروز كانت تدعى في عهده اي في القرن الثامن بمجبل بني هلال قال :

صرخد بلدة ذات قلعة مرتفعة وليس لها ماء سوى ماء المطر في الصحاري والبرك وهي قاعدة جبل بني هلال وليس وراء عملها من جهة الجنوب والشرق الا البرية ومن

شرفها تسلك طريق يعرف بالرصيف الى العراق وعلى هذا الطريق بين صرخد وبغداد عشرة ايام

وقلعة صرخد شاهدة ابد الدهر بعظمة تلك البلاد وهي كما قال الثقات انضخم واهم من قلعة حلب اه

وقد جدد الملك الظاهر بيبرس^(١) فيما جدد من المصانع في بلاده ما تهدم من قلعة صرخد وجامعها ومساجدها وكذلك فعل ببصري وعجلون والصلت وكانت قلعتا كوكب وعجلون^(٢) لعز الدين بن أسامة وكان هذا ملك صرخد سنة ثمان وستائة للهجرة وقال ابن خلدكان : انه ملك صرخد سنة احدى عشرة وستائة قال لان اسناذه الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل ابي بكر بن ايوب حج في السنة المذكورة واخذ صرخد من صاحبها ابن قمرجه واعطاها مملوكه ابيك والظاهر ان الاول اصح واستمرت في يد ابيك الى سنة اربع واربعين وستائة فاخذها الملك الصالح ايوب ابن الملك الكامل من ابيك المذكور . ومن تملك صرخد اقوش الاقرم احد امراء بني ايوب .

ومن الادلة على استعمار العمران في الجبل انه نشأ من بعض امهات مدنه اعلام مشاهير ومنهم عز الدين السويدي^(٣) من اهل القرن السابع كان عالما عاملا ويونس بن ابراهيم ابن سليمان الصرخدي النحوي اللغوي ٦٩٨ و ابراهيم بن سليمان التميمي الصرخدي الفقيه خطيب صرخد مات فيها سنة ٦١٧ و بدر الدين السلخني قاضي غزة نسبة الى صرخد ايضا وبعضهم يقول خلخد وسلخة والاصح صرخد فيما نرى والروايات الثانية تحريف طرأ مثله على بلدان كثيرة في سورية مثل عرييل وجماعيل فيقولون عربين وجماعين لاستسهالهم النطق بالتون اكثر من اللام

قال ابن ابي أصيبعة : « حدثني نجم الدين حمزة بن عابد الصرخدي ان نجم الدين القمراري وشرف الدين المثاني وقرأ ومثان هما قرطبان من قرى صرخد قال كانا اشتغلا بالعلوم الشرعية والحكومية وتميزا واشتهر فضلهما وكانا قد سافرا الى البلاد في طلب العلم ولما جآ الى الموصل قصدا الشيخ كمال الدين بن يونس (الفيلسوف العلامة) وهو في المدرسة يلقي الدرس فلما وقعا مع الفقهاء ولما جرت مسائل فقهية تكلم في ذلك وبحث في الاصول وبان فضلهما على اكثر الجماعة فاكرمها الشيخ وادناهما ولما كان آخر النهار سألا من يريهما كتابا له كان قد ألّفه في الحكمة

(١) فوات الوفيات^(١) تاريخ ابي الغداء^(٢) تاريخ الاطباء لابن ابي أصيبعة

وفيه لغز فامتنع وقال: هذا كتاب لم اجد احداً يقدر على حله وانا ضيق به فقالوا له: نحن قوم غرباء وقد قصدناك ليحصل لنا الفرز بنظرك والوقوف على هذا الكتاب ونحن باثثون عندك في المدرسة وما نريد نطالعه سوى هذه الليلة وبالغداء يأخذه مولانا وتلطفا له حتى انعم لها واخرج الكتاب فقعدا في بيت من بيوت المدرسة ولم ينما اصلاً في تلك الليلة بل كان كل واحد منهما يلي على الآخر وهو يكتب حتى فرغا من كتابته وقابلاه ثم كررا النظر فيه مرات ولم يتبين لهما حله الى آخر وقت وقد طلع النهار فظفر لهما حل شيء منه من آخره وانضح اولاً فاولاً حتى انحل لهما اللغز وعرفاه تحملاً الكتاب الى الشيخ وهو في الدرس فجلسا وقالوا: يا مولانا ما علمنا الا كتابك الكبير الذي فيه اللغز الذي يعسر حله واما هذا الكتاب فنحن نعرف معانيه من زمان واللغز الذي فيه علمه عندنا قديم وان شئت اوردناه فقال قولاً حتى اسمع فتقدم النجم القمر اوي وتبعه الآخر واوردا جميع معانيه من اول الكتاب الى آخره وذكرنا حل اللغز بعبارة حسنة فصيحة فعجب منهما وقال: من اين تكونان قالوا: من الشام قال: من اي موضع منه قالوا: من حوران فقال: لا اشك ان احداً كما النجم القمر اوي والآخر الشرف المثاني قالوا: نعم فقام لهما الشيخ و اضافهما عنده وكرمهما غاية الاكرام واشتغلا عليه مدة ثم سافرا . « وهذه الرواية تدل كل الدلالة على انتشار العلم في هذه المزارع في القرون الوسطى وامتان بلد شرف الدين المثاني قرية موجودة الى اليوم اما قراؤها في قرية خربة واقعة الى الجنوب من صرخد على مسافة ساعتين ومنها ^(١) الفقيه موسى القمر اوي اديب مناظر حاذق توفي سنة ٦٢٥ ومن شعره

لما تبدى بالسواد حسبه بدرأ بدا سيف ليلة ظمأ
لولا خلافة على اهل الهوى لم يشتهر بلباس الخلفاء
ومن قرى صرخد العرمان بتشدد الرء وفجها والعامه اليوم تحففها قال ياقوت:
اشدني ابو الفضل محمد بن مياس العرمانى من ناحية صرخد من عمل حوران من
اعمال دمشق لنفسه

يعادي فلان الدين (?) قوم لو انهم
ولكنهم لم يذكروا فتمموا
واشدني ايضا لنفسه

^(١) ياقوت في المعجم

ولما اكتسى بالشعر توربد خده وما حاله الا نزول الى حال
وقفت عليه ثم قلت مسلماً الا انتم صباحاً ايها الطفل البالي
وانشدني ايضاً نفسه يمدح صديقه مومي القمراوي وقرى قرية من قرى حوران
ايضاً قرية من العرمان

اصبحت علامة الدنيا باجمعها تشد نخوك من اقطارها النجب
بأنك على كبد الجوزاء منزلة تحفها من جلال حولها الشهب
مانال مانلت من فضل ومن شرف مرارة قوم وان جدوا وان طلبوا

وفي الجبل الى اليوم قريتان باسم نجران قال باقوت ان نجران موضع بحوران من
نواحي دمشق وهي يعمة عظيمة عامرة حسنة مبنية على المعمد الرخام منقطة بالفسيفساء
وهو موضع مبارك يذره المسلمون والنصارى ولنذور هذا الموضع قوم يورون في البلدان
ينادون من نذر نذر نجران المبارك وهم ركاب الخيل وللسلطان عليهم قطيعة وافرة يؤدونها
اليه في كل عام ٠ وقال مثل ذلك في دير نجران ايضاً وما ندري ان كانت نجران هذه
هي نجران جبل حوران ام هي واقعة في السهل من قرى بصر الحر بري

وتبين مما تقدم ان العمران قديم في هذا الجبل وليس في الايدي نصوص يركن اليها
اللبهم الا اذا كان شي في بطون التاريخ والجغرافيا جاء بالمرض ولم نهتد الى معرفته وقد
كان سكانه على ما مر بك آفا مسلمين ومسيحيين ولم ينزله الدروز الا في القرون المتأخرة
ويقول احدهم انهم رحلوا الى جبل حوران منذ نحو مائتين وعشرين سنة ايام ابتداء قوم
من دروز لبنان يهاجرون واولهم أسرة بني حمدان التي بطش بها التتوخيون امراء لبنان
ومنذ ذاك الحين اصبح كل من يغلب في الحروب القيسية والبينية في لبنان ومن غلبه
الدهر بنابه او غضب عليه الحاكم يرحل الى ذلك الجبل ثم انضم اليهم اناس من دروز
وادي النيم وصفد وجبل الاعلى والفتيطرة وجوار دمشق

نزل الدروز هنا وهم مستضعفون فقراء وهزالوا يطردون المخالفين لهم من سكان البلاد
الاصليين بالقوة ويستصفون املاكهم ومنها ما هو الى اليوم لبعض ارباب البيوتات في
دمشق وبايديهم صكوك بملكيتهم لها حتى كاد الجبل الا قليلاً جدياً يكون لطائفة الدروز
وزعمائهم بنو الاطرش وبنو الحلبي والمغوش وعامر وناسر والعزام توزعوا على القرى
ومن اكبر زعمائهم بنو الاطرش وبينهم وبين بني مقداد المسلمين سكان بصرى وماجاورها
طوائف قديمة يترصد كل منهم بجواره الدوائر منذ نحو قرن ويعتقد الطرشان ان بني

مقداد هم الحائل دون تعددهم حدود جبلهم ولولاهم لامتد سلطانهم على سهول حوران فاستأثروا بها كما استأثروا بهذا الجبل

و اول الوقائع التي قام بها الدروز في الجبل وتمت بها لهم الغلبة وقعة جرت بينهم وبين ابراهيم باشا المصري سنة ١٨٣٠ م في جنوبي اللجاة كتبت فيها الهزيمة على المصريين وقتل منهم الفريق محمد باشا وغيرهم من قوادهم وفي سنة ١٨٣٨ اغتد ابراهيم باشا احد رجاله شريف باشا في اربعمائة فارس الى قرية ام الزيتون في محل يعرف بوادي اللواء على نحو خمس ساعات عن السويداء لتجديد الدروز قتلهم الشيخ حمدان الدرزي عن آخرهم ولم يبق الا على مقدمهم . وكذلك جرى لمحمد باشا القبرصي فلم يظفر بهم

ومنذ ذلك العهد اعتصموا بجبالهم ونشأ لهم شيء من الاستقلال عن الحكومة وابتعدوا بانها تحاف بأسهم وتحسب لهم الف حساب وزاد سوادهم وقوتهم في حادثة الستين وقد هاجر اليهم من لبنان كثير من ابناء مذهبهم فاعتزوا بهم خصوصا بعد ان ثبت ان الدروز هم الذين اوقدوا نار فتنة النصاري منذ خمسين سنة وانتهت بقتل وصاب مئات من اهل دمشق المسلمين ولم يكدر للدروز خاطر ولم يسألوا عما ارتكبه في تلك الفتنة الاهلية من الفظائع

وما يروحوا بنحشون النبل والسلب والتخريب منذ حادثة سنة الستين لان الحكومة استعملتهم اذ ذاك او استعملوا لها بواسطة بعض الدول آلة لمقصود تريده على ما يروى كد العارفون . ولقد قتلوا من جند الدولة والاهالي المساكين ما لو احصى لبلغ مقداره نحو نصف سكان الجبل اليوم . ووقائعهم في قرية ام ولد وقرية الكرك وقرية كحيل والحراك وبصر الحاريري وبصرى اسكي شام وجوارها وقرية الميحات ومع عرب المعجل وعرب السرحان وعرب الخريشة وعرب ولد علي وغيرهم مشهورة الى الآن على الاسناد معك نحو عشرين قرية اغتصبها الدروز من الحوارة في قضاء عاهرة وقضاء السويداء وقضاء صرخد وهي افضية الجبل اليوم التابعة لمركز اللواء الذي كان اول امس شيخ سعد فاصبح امس شيخ مسكين واليوم غدا درعا

نعم لم يكن سكان جبل الدروز كما قال عارف باحوالهم منذ اربعين سنة الا اقل القليل من سكانه فالجهة الجنوبية اي قرى صرخد وجوارها كانت بايدي المسلمين والمسيحيين من اهالي حوران والقرى الغربية كانت بيد جمولة الزعبية من حوران الى ان اعتاد اشقياء دروز جبل لبنان وحاصبيا وراشيا اي وادي التيم وعمكا وصفد والقرى المجاورة لدمشق

والقنيطرة ومن اعتادوا القتل والنهب وقطع الطريق وتعذرت عليهم الإقامة في بلادهم ان يعصموا في هذا الجبل فضاقت عليهم قراهم الاصلية فجعلوا الحوارنة عن بلادهم واصبح جبلهم ملجأ الاشقياء

اما وقائعهم المشهورة فالولها كان سنة ١٢٩٥ شرقية بينهم وبين اهالي بصر الحريزي فساقت الدولة عليهم قوة الى موقع الفراسة ولما لم تحسن الادارة زاد الدروز جرأة الى ان كانت سنة ١٢٩٧ شرقية وقد هجموا على قريتي الكرك وام ولد وذبحوا سكانها مع بكره ابهم حتى الاغالال الرضع فكانوا يفسخونهم قطعتين ثم سيقت عليهم قوة بقيادة المشير حسين فوزي باشا اسفرت عن ربط دية شرعية مقسطة على الدروز وتأسيس قائم مقامية جبل الدروز وجعلها ثنائي نواح وتعيين قائم مقام ومديرين للنواحي منهم

وما يرحوا يشغلون الحكومة فترسل عليهم الحملات كل مدة ويراوغون ثم يستعطفون رجالها بالكذب والرأي وتارة يتحد اشقياء المقرن القبلي مع عرب السردية فيغزون قبائل بني صخر والحويطات والسرخان وقري حوران الجنوبية وبنضم اشقياء المقرن الشرقي الى عرب الصفا يغزون تجار بغداد والزور واشقياء المقرن الشمالي يتحدون مع عرب الحسن ويغزون قري جبل قملون والنبك وحمص ويتحد بعضهم مع عرب البجاة يسلبون قري سفوح جبل حوران وتارة يقتلون الموظفين ويمثلون بالعسكر ولا يدفعون الاموال وينهبون التجار حتى ارسلت عليهم الحكومة حملة مهجة سنة ١٣١١ رومية ففسر بهم ضربة لو وضعت بعدها الاصلاحات الادارية المعتبرة ولم تعف بعد قليل عن زعمائهم لاستقام الامر ولم يعودوا الى سالف احوالهم حتى صيف هذه السنة

احل^(١) اشقياء الدروز في حوران قتل من خائفهم والاعتداء على مجاورهم وعلى القوافل الآتية من العراق ونجد حتى كادت التجارة تنقطع بين اقطار العراق ونجد والشام بسبب غاراتهم على الافاليم المجاورة وخرى بواجباً عظيماً من القرى والمزارع واخذوا المواشي وسفكوا الدماء حتى التجأ اليهم كل من عصا الدولة من العسكر الفار من الجندية ومن الاشقياء وخرت باعمالهم كثير من القرى والمزارع واصبحوا بفعلاتهم يحولون دون امتداد العمران في اطراف هذه الولاية ولولا ام لا ستفاد عمرانها ولا سيما من جهة الشرق والجنوب عمراناً تزيد مساحته على ولاية عظمى من الارض المثبتة ولكفت لابين من المهاجرين واهل البادية

^(١) خليل رفعت افندي الحوراني في جريدة المتنبس

اما الفوائد التي ستجني من ادخالهم حظيرة الطاعة فامتداد العمران الى الجنوب مراحل كثيرة حتى يبلغ من الازرق الى بلاد الكرك بل فرى الملح الى الجوف فينتفع بمائها من المياه المعطلة ويمتد من جهة الشرق الى تدمر مسافة عشرة ايام . وتدمر هي المعروفة بتاريخها المجيد . ويتصل من جهة الشمال ببلاد حماة وحلب . ولعل هذا المبحث لا يصدر الا وقد اخلد اولئك العصاة الى السكون بهمة قائد الحملة العام سامي باشا الفاروقي فيضع لهم اساساً راسخاً في الاصلاح لا يمكن احد من نقض عروته ويعاملون في عهد الدستور بما لم تكن الدولة تعاملهم به ايام الاستبداد . ويشترط هذا الجرح النفاذ بل الآكلة المزمنة في جسم سورية بشروط الجراح الماهر الذي احسنت الحكومة ظننها به في هذه المهمة فيصبح جبلهم منتاب المصطفين كما اصبحت جبل لبنان . من قبل نجبل حوران ليس دون جبل الشيخ وجبل قلمون وجبل النكاح وغيره من جبال سورية بهوائه ومائه ويزيد عليه خصب تربته وبعده عن الرطوبة هذا وبقل الماء الجاري في جبل حوران واكثره ينابيع قليلة تكاد تكفي لشرب الشفة فقط اما الزروع فلا تنمو بالسقي بل تروى بما الساء كسائر بلاد حوران وحدث ما حدث ان تحدث عن خصب التربة فان الحبوب تجود فيه كل الجودة وتقل الاشجار في الايام الا الكرم والتين وبعض السديان والزنان واكثر الغابات التي لم يبق منها الا جذوع اشجارها تجدها بالقرب من السويداء وسهوة الخضر وسهوة بلاطة ومياماس وابي زريق وساله وفنوت وعيتل في ذروة الجبل اي في اطراف فليب حوران ولم يبق الاشجار معدودات بين قنوت والجبل والله اعلم



اصل الدروز^(١)

ينسب الدروز الى رجل يقال له محمد بن اسماعيل الدرزي كان احد اصحاب دعوة الحاكم بامر الله العبيدي ويسمى في كتب هذه الطائفة نشكين الدرزي والدرزي بالفتح معناه الخياط فارسي معرب والعامية تضم المال ويقولون في الجمع الدروز والصواب الدرزة محركة . اما الحاكم هذا فانه سادس خليفة من خلفاء الدولة العبيدية ويقال لم

(١) ملخص من كتاب « حل الرموز في عقائد الدروز » لاساذنا سليم افندي البخاري

من علماء دمشق وهو لا يزال مخطوطاً لم ينشر بالطبع

الفاطميون ولقبه الخاكم بامر الله وكتبه ابو علي واسمه المنصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد بن المنصور اسماعيل بن القائم بامر الله محمد بن عبيد الله المهدي .
واختلف المؤرخون في صحة نسبهم فبعضهم صححه وجعله متصلاً بفاطمة الزهراء عليها السلام ونسب عبيد الله المهدي الى محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم ابن اسماعيل بن جعفر الصادق . وطعن اكثر العلماء والمؤرخين في هذه النسبة وجعلوا نسبهم متصلاً بالحسين بن محمد بن احمد القداح وكان مجوسياً وقيل يهودياً فقالوا ان امهم فاطمة بنت عبيد اليهودي واسم المهدي هذا سعيد ولقبه عبيد الله وزوج امه الحسين ابن محمد بن احمد بن عبيد الله القداح بن ميمون بن ميمون بن ديسان وقيل هو سعيد بن احمد بن عبد الله القداح بن ميمون وهذا هو صاحب كتاب الميزان في نصره الزندقه كان يظهر التشيع لآل البيت وانشأ لميمون عبد الله وكان يعالج العيون التي تزل اليها الماء بالقدح (هو اخراج الماء الفاسد منها) وتعلم عبد الله من ابيه ميمون الحيل واطلمه ابو علي اسرار الدعوة لآل البيت ثم سار القداح من نواحي كرج واصفهان الى الاهواز والبصرة ثم الى سلية من اعمال سورية يدعو الى آل البيت

ثم توفي القداح وقام ابنه احمد مقامه وتوفي احمد وقام ابنه محمد ثم قام بعده ابنه الحسين وكان ببغداد فسار الى سلية حيث كان له بها ودائع واموال من ودائع جده عبد الله القداح وكان يدعي انه الوصي وصاحب الامر والدعاة باليمن والمغرب يكتبونه وراسلونه واتفق انه جرى بحضرته حديث النساء بسلية فوصفوا له امرأة رجل يهودي حداد مات عنها زوجها وهي في غاية الحسن والجمال فتزوجها الحسين المذكور ولها ولد من اليهودي يماثلها في الجمال فاحبها واحب ولدها وادبه وعلمه العلم فتعلم وصارت له نفس عظيمة وهمة كبيرة ومات الحسين ولم يكن له ولد فعهد الى ابن اليهودي الحداد وهو عبيد الله المهدي وعرفه اسرار الدعوة من قول وفعل واعطاه الاموال والعلامات فدعا له الدعاة .

قال ابن خلدون : ولا يلتفت لانكار هذا النسب لان اغراء المعتضد لابن الاغلب بالقيروان وابن مدرار بساجماسة بالقبض على عبيد الله لما سار الى المنرب وشعر الشريف الرضي في قوله :

مامقامي على الهوان وعدي مقول صارم وانف حمي
أبس الذل في بلاد الاعادي وبمصر خليفة العلوي

من ابوه ابي ومولاه مولا ي اذا ضامني البعيد القصي
 لف عراقي بعرقه سيداك اس جميعاً محمد وعلي
 ان ذلي بذلك الجند عن وأوامي بذلك الربع ربي
 شاهد بصحة نسبهم واما المخضر الذي ثبت ببغداد ايام القادر بالندح في نسبهم
 وشهد فيه اعلام الائمة فهي شهادة على السماع .

وبدأت دولة الفاطميين من ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين الى سنة سبع
 وستين وخمسمائة وفي ايامهم كثرت الرافضة واستحكم امرهم ووضعت المكوس على الناس
 واقتدى بهم غيرهم وافسدت عقائد طوائف من اهل الجبال الساكنين بشغور الشام
 كالنصيرية والدرزية . والحشيشية نوع منهم .

وكانت احوال الحاكم بامر الله متناقضة فعنده شجاعة وجبن ومحبة للعلماء وانتقام منهم
 وميل الى اهل الصلاح وقتلهم وسخا . ويحل بالقليل . لقب نفسه الحاكم بامر الله ولما
 زاد ظله عن له ان بدعي الالوية اقتداء بفرعون فاخذ يهد لذلك المقدمات فلقب نفسه
 الحاكم بامر الله و امر الخطباء بان يقرؤا بدل البسحلة (بامر الله الحاكم الحجي المميت)
 وصار يدعي علم الغيبات بانفاق اعناده مع العجائز اللواتي يدخلن بيوت الامراء وعنده
 من دعائه رجلان اعجميان من دعة الباطنية احدهما يقال له محمد بن اسماعيل الدرزي
 وثانيهما يقال له حمزة بن علي بن احمد اما الاول فانه قدم الى مصر في اواخر سنة سبع
 واربعائة ودخل في خدمة الحاكم ووافقه على اثبات دعوته بالالوية وحسن له كتاباً
 كتب فيه ان روح آدم انتقلت الى علي بن ابي طالب ومنه الى اسلاف الحاكم متقطعة
 من واحد الى آخر حتى انتهت الى الحاكم وقرئ هذا الكتاب في الجامع الازهر بالقاهرة
 فبهج الناس على مؤلفه ليقبلوه فقر منهم وسدت شغب عظيم في القاهرة ونهبوا بيت
 الدرزي وقتلوا كثيرين من اصحابه فارسله الحاكم سرّاً الى بلاد الشام فنزل بوادي النسيم
 بالقرب من جبل الشيخ وهناك نادى بالالوية الحاكم وكان الامراء النخويين الذين
 قدموا من العراق الى الشام من الباطنية ولذلك كانوا مستعدين لقبول دعوة الدرزي
 فانقادوا اليها ومن ذلك تسميتهم بالدرّوز . وقتل الدرزي المذكور في وقعة مع الترسنة
 احدى عشرة واربعائة .

وثانيهما حمزة بن علي بن احمد وكان وقع الخلاف بينه وبين الدرزي وبعده تقدم
 مكانه ودعا بالالوية الحاكم فاجابه البعض واتخذ عيلاً سرياً لمباداة الحاكم وجعل نفسه

ثانياً له فهو مقدس محترم عند القائلين بالوهية الحاكم يلقب عندهم بهادي المستجيبين
 وحجة القائم وغير ذلك . وهم يكرهون محمد الدرزي ويشتمونه ويكرهون التسمية باسمه
 لما انه اراد ان يغتصب منصب حمزة ويتقدم عليه بما فعله كما يعلم من رسالة الغاية والنصيحة
 من كتبهم . ولما قتل الحاكم قرب حلوان مصر زعم الدرود انه خرج في ليلة منفرداً الى
 البركة الزرقاء ومن هناك عرج الى السماء مخفياً عن اعين الناس وكتب حمزة بعد وفاة
 الحاكم الرسالة المسماة بالسجل المعلق وعلقها على ابواب الجامع وفيها يقول ان الحاكم
 اختفى امتحاناً لايمان المؤمنين وشرع حمزة يزور في القلوب بذر الاعتقاد بالوهية الحاكم
 وتوحيده وعبادته ويحتمع هو واتباعه في المعبد السري يعبدون الحاكم حتى ثارت
 عليهم المسلمون وظفروا بهم وطردوهم ففروا من مصر ونزل بعضهم في الجبل الاعلى من
 الديار الحلبية وبعضهم في جهة حوران ثم تفرقوا من هناك فذهب بعضهم الى جبل
 الشوف والآخر الى وادي التيم ولم يزلوا في نمو وازدياد الى هذا العصر

للدردود عادات قديمة توارثوها منها ان لهم قضاة منهم يحكمون في المعاملات المدنية
 الجارية بينهم على مقتضى الشريعة غير انهم يخالفونها في بعض المعاملات بحكم العادة
 الموروثة فلا يسوغ لاحد مثلاً ان يوصي بجميع ماله لاحد اولاده ويحرم الباقي من
 ميراثه ان كان هذا المال الموصى به من كسب يده واما اذا كان منتقلاً اليه بطريق
 الارث عن آبائه واجداده فلا يسوغ له ذلك لانه حينئذ يكون من حقوق الأسرة
 والاصول والفروع متساويان فيه فلورثة استحقاق في تقسيم هذا المال .

ومنها ان المرأة لا ترث شيئاً من دار ابائها حتى ان هذه العادة سرت الى مجاورهم في
 الجبل من بقية الطوائف . وكذا يخالفون في النكاح والطلاق اذ لم في ذلك اصول
 خاصة ولا يجوز عندهم الجمع بين امرأتين فان لم يطلق التي عنده لا يمكنه التزوج بغيرها
 وتطلق المرأة باذى سبب ولا يجوز عندهم رد المألقة ولو كان بعد زوج آخر

ويخالفون في عقائدهم عقائد الفرق من ارباب الديانات لكنهم يستترون بين المسلمين
 بالاسلام ويتزيون بزي اهل والاحرى ان تدبر انهم يتظاهرون بالتبعية لمن يكونون
 تبعاً له واما في الباطن فانهم يتكبرون الانبياء عليهم السلام وينسبونهم الى الجهل وانهم
 كانوا يسيرون الى توحيد العدم ومانعوا المولى وبشعروا بالطعن على جميع ارباب
 الديانات من المسلمين والنصارى واليهود والديانة الحقة عندهم هي عبارة عن توحيد الحاكم

ويفترض عندهم صدق اللسان بدل الصوم وحفظ الاخوان بدل الصلاة ولكن لا يجوزون مراعاة ذلك لغير افراد ملتزم

ويقراون القرآن ويؤولونه بنأويلات تناقض الشرع ويذهبون الى قدم العالم تبعاً لبعض الفلاسفة ويقولون بالتناسخ معبرين عنه بالتقمص فالجسد يسمى قميصاً عندهم وأن الميت حين موته تنقل روحه الى من يولد وقتئذ فالارواح الانسانية لا تنتقل عندهم الا الى قوالب انسانية ويقولون ان الهوية الالهية تنتقل من قالب وتحل في قالب آخر في كل عصر فتتجلى في كل زمن بصورة وتجلت اخيراً في الحاكم وان حمزة ايضاً ظهر في كل عصر بقالب ففي زمان كان فيثاغورس الحكيم وفي زمان كان شعبياً وفي زمان كان سليمان بن داود وفي زمان كان المسيح الحق فهو النبي الكريم عندهم. وحمزة العصر المحمدي هو سلمان الفارسي

ويؤمنون ان القرآن قد أوحى حقيقة الى سلمان الفارسي وانه كلامه ومحمد (عليه الصلاة والسلام) اخذه وتلقاه عنه حتى زعموا بان خطاب لقمان الذي خطب به ولده في معرض الوصية بقوله : « يا بني اقم الصلاة وأمر بالعرف وانه عن المنكر » هو خطاب سليمان لمحمد والتعبير بالنبوة انما هو من خطاب المعلم للمتعلم .

ويقسمون الى قسمين العقال والجهال ويقال لهم ايضاً العوام ونسأولهم ايضاً ينقسمن قسمين عاقلات وجاهلات فيقال للمعاقلة جويذة وللجاهلة غير جويذة والعقال طبقتان طبقة الخاصة هي التي يعتمد عليها ويوثق بها حقاً اذ انها حصلت على تمام المعرفة بأسرار الديانة وطبقة العامة وهي التي يحسن الظن بها واما الجهال فلا حظ لهم من الديانة سوى الدخول تحت اسم الدرزية وابنا وجد هؤلاء العقال تنخذ هناك معابد للعبادة يستمنونها بالخلوة وهي حجرة ضمن حجرة وفي كل ليلة جمعة يلتئم اهل كل طبقة في الخلوة الخاصة بهم ويستمعون جميعاً في الخلوة الخارجية فيقرأون شيئاً من المواعظ ومن هؤلاء العقال طبقة انقياء يقال لهم المتنزهون وهم مشايرون تلى العبادة والورع ومنهم من لم يتزوج ومنهم من لم يأكل لحماً مدة حياته ومنهم من هو صائم كل يوم ولم يزد احتياط في التورع حتى انهم لا يذوقون شيئاً من زيت احد من غير العقال والعقال جميعهم يعتقدون ان اموال الحكام والاسراء حرام فلا يأكلون شيئاً من طعامهم ولا من طعام خدامهم حتى ولا من طعام حمل كتي دابة مشتركة من مال حاكم لكنهم يستولون اموال التجار من اي جهة كانت فان حصل في ايديهم شيء من مال اعتقدوا حرمة يذهبون به الى احد التجار

فيستبدلونه منه وينزهون السنتهم عن الفاظ الفحش والبذاءة ويتجنبون الاسراف لانه يورث نقصاً في اخلاق الموحدين عندهم

ويحرص الدروز جداً على كتمان عقائدهم ولذلك يعبرون عن مرامهم في كتبهم ورسائلهم بطريق الرمز والكناية ويذكرون مباحث من علم الكلام وبعض مقالات غلاة المتصوفة وتأويلات الرافضة والملاحدة وخصوصاً الاسماعيلية من غلاة الشيعة ثم انهم لاعتقادهم التناسخ وهو النقص يزعمون انه اذا مات احد من كبار العقال الذين يعتقدون بولايتهم تذهب روحه الى جهة الصين وتحل في قالب ولهذا يزعمون ان لهم وراء جبل الصين كثيراً من الاولياء ويعتقدون انه كان قبل عالم الانس عالم الجن والخن والرم وعوالم اخر ويقولون انه كان قبل دور الحاكم سبعون دوراً وكل دور اربعة آلاف الف سنة « اربعة ملايين » وتسعائة الف سنة فيكون قد مضى من مبداء الخليقة الى دور الحاكم ثلاثمائة الف سنة وثلاثة واربعون الف سنة « ثلاثمائة وثلاثة واربعون مليون سنة » واول الادوار دور العلي وآخرها دور الحاكم وهو دور القيامة وبثبتون اكل دور من السبعين دوراً سبعة نطقاء وسبعة اوصياء وسبعة مائة فيكون مجموع النطقاء لجميع الادوار اربعمائة وتسعين ناطقاً والوصياء كذلك والائمة كذلك والناطق هو الرسول والوصي هو الاساس ويقولون ان اصحاب التكليف في كل عصر ستة كما كانوا في هذا العصر ومدة دعوة الناطق السابع مضمدة في مدة دعوة الناطق السادس واولو العزم خمسة في كل دور كما انهم خمسة في هذا الدور الاخير قالوا وانما كانوا خمسة لاجل لان النهاية في القوة عند الخامس من كل شيء في المقامات الربانية كانت عند الخامس وهو الحاكم وفي النطقاء انتهى العزم عند الخامس (يعنون به محمداً عليه الصلاة والسلام) وفي الاوصياء عند الخامس (يعنون به علياً كرم الله وجهه) وفي الائمة عند الخامس (يعنون به محمد بن عبد الله القداح) و ينتظرون ظهور يأجوج ومأجوج من داخل الصين ويحترمونهم ويقولون يا قي هو لاء القوم الكرام بالني الف وخمسمائة الف من العساكر الى مكة وفي صباح اليوم الثاني يتجلى لهم الحاكم بامرهم من ركن البيت اليباني ويهدد الناس بسيف مذهب في يده ثم يعطيه حمزة وهو ايضاً يقتل الكلب والخنزير ثم يهدم الكعبة ويعطي الدروز حكومة الارض جميعها يستخدم بقية الناس في حكم الرعية .

وبعد فان لهم مواجب دينية وفرائض توحيدية اوجبوا على جميع اهل ملتهم حفظها ومعرفتها والعمل بها واسترها عن غير اهلها وهي اربع وخمسون فرضة منها عشر مقامات

ربانية وهم العلي والبار وابوزكريا وعلي والعل والتسائم والمتصور والمعز والعزير والحاكم وكلم الله واحد . ومنها اربع نظام الباري بها وهي البيضة والاسم والنطق والفعل فالبيضة هي الصورة التي ظهر بها والاسم هو اسم الحاكم الذي تسمى به والنطق هو المجلس والسجلات التي يتكلم بها وتصدر عنه والفعل هو المعجزات التي كانت تصدر عنه كقهر الملوك وقتل الجبابرة وظهوره بين الاعداء وحده وخروجه ايضا وحده في انصاف الليالي وظهوره في الحر الشديد وقت الهاجرة مع عدم تأثير الشمس في وجهه وعدم رؤية ظل له في ضوء الشمس والقمر وغير ذلك من الامور التي ذكرها معجزات له سيفه كشيم كالسيرة المستقيمة وبحرى الزمان وغيرهما .

ومنها عشر فرائض توحيدية الاولى معرفة الباري وتوحيده عن جميع الخلق والثانية معرفة الامام قائم الزمان وتعيينه عن سائر الحدود الروحانيين باسمائهم ومراتبهم والتابع وان قائم الزمان اولم وهو الذي نصبهم وهم مطيعون لامره ونبيه الرابع صون الانسان الخامسة حفظ الاخوان السادسة ترك عبادة العدم السابعة الثبوت من الابالة الثامنة التوحيد للولى في كل عصر وزمان التاسعة الرضى بفعل العائنة التسليم لامره وهي مذكورة في رساله ميشاق النساء ورسالة البلاغ والاية

ومنها عشرة مواجب دينية وهي كن لم في تقاسم واعراسهم وجائزكم على السنة التي رسمت لم فهذه ثلاثة الرابعة اجيبوا دعوتهم الخامسة اتقوا حاجاتهم السادسة اقبلوا معذرتهم السابعة عادوا من ضامهم الثامنة عودوا مرضاهم التاسعة يروا ضعفاهم العائنة انصروهم ولا تخذلوهم وهي في رسالة التذير والتنبيه .

ومنها عشرون امامية وهي اربعة انواع النوع الاول اسامي وهي خمسة الاول علة العلل الثاني السابق الحقيقي الثالث الامر الرابع ذومعة الخامس الارادة النوع الثاني طبائع جوهرية وهي خمس الاولى حرارة العقل الثانية قوة النور الثالثة سكون التواضع الرابعة برودة الحكم الخامسة ليونة الهيولى فهذه الخمسة هي العقل وطبائعه الاربعة وهي في رسالة كشف الحقائق

النوع الثالث خصائص نورانية وهي خمس الاولى الحمد لمن ابدعني من نوره الثانية وايدني بروح قدسه الثالثة وخصني بعلمه الرابعة وفوض اليّ امره الخامسة واطعنني على مكثون مره فهذه من كلام مخزنة وهي في اوائل رسالة التذير والتنبيه

النوع الرابع منازل كلية وهي خمس الاولى حد الجسائين الثانية حد الجرمايين
الثالثة حد الروحانيين الرابعة حد النفسانيين الخامسة حد النورانيين فهذه المنازل الخمسة
هي مجتمعة في الامام وهي مذكورة في السيرة المستفيضة
واما تلقي الديانة واخذها فله عندهم كيفية مخصوصة وهي انه اذا اراد احد من الجبال
ان يأخذ الديانة ويدخل في سلك الموحدين ينبغي له ان يستجلب رضى الموحدين
بتقديم الوسائل التعطفية مدة لا تقل عن سنتين يلتصق منهم قبيله وادخاله في جماعتهم
واعطاءه الديانة فاذا قبلوه ادخلوه على الامام فيوصيه بحفظ السر وعدم اشهاره ويأمره
بتحريم العهد الواجب تحريمه اذ لا يكون موحداً خالصاً بدون تحريم العهد على نفسه
فاذا حرره وسلمه الى الامام صار واحداً منهم والعهد الذي يجب تحريمه هو المسطور تحت
العنوان الآتي :

ميثاق ولي الزمان

توكلت على مولانا الحاكم الاحد الفرد الصمد المنزه عن الازواج والعدد اقر فلان بن
فلان اقراراً اوجب على نفسه واشهد به على روجه في صحة من عقله وبدنه وجواز امره
طائفاً غير مكروه ولا مجبر انه قد تبرأ من جميع المذاهب والمقالات والاديان والاعتقادات
كلها على اصناف اختلافاتها وانه لا يعرف شيئاً غير طاعة مولانا الحاكم جل ذكره
والطاعة هي العبادة وانه لا يشرك في عبادته احداً مضى او حضر او ينتظر وانه قد سلم
روحه وجسمه وماله وولده وجميع ما يملكه لمولانا الحاكم جل ذكره ورضى بجميع احكامه
له وعليه غير معترض ولا منكر لشيء من افعاله سواء ذلك ام سره ومضى رجوع عن دين
مولانا الحاكم جل ذكره الذي كتبه على نفسه واشهد به على روجه او اشار به الى غيره
او خالف شيئاً من اوامره كان بريئاً من الباري المعبود وحرماً الافادة من جميع الحدود
واستحق العقوبة من البار العلي جل ذكره ومن اقر ان ليس له في السماء اله معبود ولا في
الارض امام موجود الا مولانا الحاكم جل ذكره كان من الموحدين الفائزين وكتب
في شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا من سني عبد مولانا جل ذكره ومملوكة حمزة بن
علي بن احمد هادي المستجيبين المنتقم من المشركين والمرشدين بسيف مولانا جل ذكره
وشدة سلطانه وحده اه

السجل المعلق

من المخطوطات المضمون بها عند الدروز السجل الذي كتبه حمزة بن علي هادي المستجيبين وكان سبباً لثورة الافكار في مصر حتى هرب منها ونزل سوربة ونشر بها العقيدة الدرزية وهو اكبر القائلين بالوهية الحاكم وهالك بعض فصول منه تفيد مطالعتها في تمثيل حالة هذا القوم ونشرها بحرفها . وهذا السجل هو مقالات متنوعة في اغراض شتى فمن مقالاته مقالة : « خبر اليهود والنصارى وسؤالهم لمولانا الامام الحاكم بامر الله امير المؤمنين صلوات الله عليه عن شيء من امر دينهم باعتراض اعترضوه فيه وانكار انكروه عليه والجواب على ذلك بما اختصمهم من القول واسكتهم وانصرفوا مقهورين والحمد لله رب العالمين بسم الله الرحمن الرحيم حدث من تلقى به ونسكن الى قوله مع اشهار الحديث في ذلك الوقت انه حضر في موقف من مواضع الدهر وصاحب العصر مولانا الامام الحاكم بامر الله امير المؤمنين سلام الله عليه اذ وقف بين يديه بالقرافة في مقابر تعرف بقباب الطير نفر فسلموا عليه فوقف عليهم حسب ما كان يقف علي من سلم عليه فذكروا انهم من اهل الذمة وان لم حاجة وانهم يهود ونصارى فقال عليه السلام قولوا حاجتكم فقال نسأل حاجتنا اذا امتننا على نفوسنا فقال ان طلبه الحوائج لا تحتاج الى امان فقالوا هي حاجة صعبة ومسؤول عظيم فقال عليه السلام اسألوا فيما عسى ان تسألوا ولو كان في الملك .

قالوا : يا امير المؤمنين ما هو شيء يتعلق بامر الدنيا وانما هو شيء يتعلق بامر الدين وخطر عظيم فان امتننا على انفسنا ذكرنا وسألناك عنه وان لم تأمننا سألناك العفو وانصرفنا آمنين فعدلك وامتك قدماً الغرب والشرق وعطاؤك وجودك قد غمرا جميع الخلق . قال عليه السلام : اسألوا عما اردتم وانتم آمنون بامان الله تعالى وامان جدنا محمد واماننا لا منكوث عليكم في ذلك ولا متأول . قالوا : يا امير المؤمنين ان الذي نسألك عنه خطر عظيم وامر جسيم وانت صاحب السيف والملك ولا أشك في امانك ولكننا نخشى من سفهاء الامة . قال عليه السلام : قولوا وانتم آمنون من جميع الناس والامة . قالوا : يا امير المؤمنين انت تعلم ان صاحب الشريعة الذي هو محمد بن عبدالله الرسول المبعوث الي العرب الذي لهجرته كذا وكذا سنة وذكروا عدد السنين التي لهجرته الى تلك السنة التي خاطبوه فيها انه حين بعث الى العرب وجاهد سائر الامم لم يسمنا الدخول في شريعته

الا ان اخترنا ذلك بلا اكراه او اداء الجزية ولم يكلفنا الا هذا وكذلك كل واحد من ائمة دينه وخلفاء مذهبه ومتفقي شريعته لم يستأنا ماستأنا أنت اياه من عدم بيعتنا وادبارنا ونمزيق كتبنا المنزلة على رسلنا من عند ربنا فيها حكمة بالحلال والحرام والقصاص حتى انك ابحت التوراة والانجيل يشد فيها الدولك والصابون وتباع في الاسواق بسعر القراطيس الفارغة .

وقد اخبر صاحب الملة والشريعة عن ربه فيما نزل عليه ان التوراة فيها حكم الله ثم انه ذكر في غير موضع في الكتاب المنزل عليه تفخيم امر رسلنا والافاضل من تبعاهم مثلاً هو موجود في كتبنا اكثر القرآن المنزل عليه فيه ذكر موسى وعيسى ويوشع واسماعيل واسحق ويعقوب ويوسف وزكريا ويحيى وهو لا كله انبياؤنا وائمة شرائعنا ومثلاً ذكروا الفضلاء منا مثل بقايا موسى وحواري عيسى وما حكاه ايضاً في الكتاب المنزل عليه من تفضيل قسنا ورباننا بقوله ان فيهم قساً ورباننا واذا سمعنا ما نزل الى الرسول تقيض اعينهم بالسمع مما عرفوا من الحق ولو استقصينا كل ماجاء في الكتاب المنزل عليه من تفضيل رسلنا وتفخيم كتبنا لكان اكثر ما نزل عليه في هذا المعنى ثم قد كان من خلفاء الملة وائمة الشريعة من المحمودين آبائك والمذمومين اعدائهم واعدائك مثل بني أمية وبني العباس ممن عثا في الارض وملكا طولا وعرض (٢) مع اتساع ملكهم وعظم سلطانهم وكان يخطب لهم في كل بقعة بلغت اليها دعوة رسولهم وصاحب شريعته ولم يحدث علينا رسماً ولا نقضوا لنا شرطاً اقتداء منهم بصاحب ملتنا وشريعتنا المذكورة على لسان نبينهم . فمن اين جاز لك انت يا امير المؤمنين ان تتعدي حكم صاحب الملة والشريعة وتعمل الخلفاء والائمة الذين ملكوا قبلك البلاد والامة وليس انت صاحب الشريعة بل انت احد ائمة صاحب الشريعة واحد خلفائه والذ ثم في شريعته لتتبعها وتشد اركانها وبنينها وبذلك نطقت في كلامك في غير موضع من موافقتك التي خاطبت بها واشهر ذلك عنك اقرب الناس اليك من اوليائك وانت تفعل معنا ما لم يفعله الناطق معنا ولا احد من ائمة وخلفائه كما ذكرناه وهذه حاجتنا التي رأيناها وامرنا الذي قصدناه وطلبنا الامان عليه وزيد الجواب عنه فان يكن حقاً وعدلاً آمنا به وصدقنا وان يكن متعلقاً بالملك والدولة والسلطان بقينا على ادياننا غير شاكين في مذاهبنا وازلنا الشبهة عن قلوب المستضعفين من اهل ملتنا وما جئناك الا مستضعفين غير شاكين في عدلك ورحمتك وانصافك وعلى هذا اخذنا امانك وقد قلنا الذي عندنا واخرجناه من اعناقنا

كما تقتضيه ادياننا والامر اليك فان نقل لنا سمعنا واطعنا واجبتنا وان اذنت لنا ولم نقل انصرفنا ونحن آمنون بامانك الذي امتننا فقال عليه السلام : اما الامان فباق هو عليكم واما سواكم فما سألتكم الا عما يجب لثباتكم ان يسأل عن مثله واما نحن فنجيبكم ان شاء الله ولكن امضوا وعودوا اليها ليلة غد . وليأت كل واحد منكم يعني من اليهود والنصارى بافته من يقدر عليه من اهل ملته في هذا البلد ليكون الجواب لهم والكلام معهم

ولما كان في ليلة غد حضر القوم في المكان بعينه ووقفوا وسلموا وقالوا قد اتينا بن طلبه امير المؤمنين منا وقدموا احد عشر رجلاً ومن قبل سبعة فقال لهم امير المؤمنين صلوات الله عليه : لهؤلاء اخترتم ولم تقدمتم قالوا باجمعهم : نعم يا امير المؤمنين قال للنفر : وانتم رضيتم ان تكونوا متكمين عن اهل ملتكم نائبين عنهم قالوا : نعم قال : فهل تعلمون في هذه البلدة من اهل ملتكم من هو افقه منكم قالوا : لا قال عليه السلام : وانتم تحفظون التوراة والانجيل واخبار الانبياء قالوا : نعم قال عليه السلام : (انتم) عارفون ببعث صاحب الشريعة الذي انا قائم بملته وذاب عن شريعته وسيرته واخباره وما جرى بينه وبين رؤساء ملتكم ومنقدمكم من اليهود والنصارى من الجدل والمسائل والاحتجاجات ومن سلم لامره منهم ومن لم يسلم من مبعثه الى حين وفاته . قالوا : لم نخط بذلك كله بل احطنا باكثره مما يلزمنا حفظه وعلم بما جرى بينه وبين علمائنا تصحيحاً لمذهبنا وشريعتنا وذلك عندنا محفوظ مدون مكتوب تتوارثه احبارنا واحبار عن الاولين من قبلنا حتى وصل ذلك الينا وينصل بغيرنا كما وصل الينا الى ان يرث الله الارض ومن عليها .

قال عليه السلام : ان اصحابكم سألوني البارحة عن سوال بعد ان اخذوا امامي على نفوسهم ووعدتهم ان اجيبهم عن سؤالهم اذا حضروا علماءهم وقد حضرتهم واعترفوا لكم بالعلم والفضل وصدقتموه انتم على ذلك واعترفتم عندي به لما قلت لكم اتعرفون في هذه البلدة من هو اعلم منكم من اهل ملتكم باخبار صاحب شريعة الاسلام ونسبه وشيعته وعلمه وشريعته قلتم : لا . وانا اسألكم وفي آخر السوال اجيبكم واخبركم بما سألوني عنه اصحابكم واماني باق عليكم وعليهم على شرط وهو افي كلما سألتكم عن شيء يقتضيه مذهبكم وشريعتم ومذهب صاحب ملة الاسلام وشريعته فنجيبوني عنه بما هو ماثور في كتبكم المازلة على انبيائكم ومدون في كتب رؤسائكم وعلمائكم واحباركم وما لم يكن عندكم ولا تعرفونه

ولا تؤثرونه في كتاب منزل ولا قول حكيم مرسل فردوه علي وادفعوه بحججكم التي عسى ان تدفعوها بها سواي وما عرفتموه وفهمتموه فلا تنكروني اياه لقيام الحجة عليكم به وفيه قالوا : نعم قال لهم ان صدقتم فلما في بعدكم وان كذبتم انفسخ امانتي عنكم وعاقبتكم وكانت عقوبتكم جزاء الكذبكم ارضيتم ؟ قالوا : نعم قال : ابانكم انه لما كان في كذا وكذا من هجرة الرسول صاحب شريعة الاسلام اناؤه رؤسائه شريعتكم وعلماؤكم من الملتين اليهود والنصارى وهم فلان وفلان وفلان وسمى لهم رجالاً من احبارهم ورهبانهم وامسك . قالوا : نعم يا امير المؤمنين وفلان وفلان وفلان وسمى له بقية اسماء الرجال حتى اتوا على آخرهم . قال عليه السلام . قد صح عندي انكم صدقتم لما تعتمت اسماء الرجال الباقين الذين بدأت انا بذكرهم في ذلك عندكم شك تشكون فيه اورية ترتابون بها قالوا : لا قال لهم : لما استحضرم ما قال لهم : قالوا : يقول امير المؤمنين فنه القول ونحن سامعون فما عرفناه اقررنا به وسلمنا فيه . وما لم نعرفه ولم يكن مأثوراً عندنا ذكرنا لامير المؤمنين . قال عليه السلام : قال لهم صاحب الملة والشرية : الم تكونوا منتظرين لزماني متوقعين لشخصي وترجون الفرج مع ظهوري فلما ان ظهرت فيكم واعلنت دعوتي وشهرت امر ربي كذبتموني وجحدتموني وناقضتم علي فطائفة منكم قاتلوني وطائفة رحلوا من جوارى حسداً لي وبغضة حسبا فتعله الامم الباغية في الازمان المتقدمة اذا ظهر مثلي سنة سنتها الظالمون اولهم ابليس اللعين مع آدم الكريم فهل كان ذلك منه اليهم قالوا : نعم قال : فاذا علمت ان ذلك قد كان منه فما كان جوابهم له عن ذلك بعد اسماعهم كلامه قالوا : قد قلنا اولى لامير المؤمنين ان يقول ولنا ان نسمع ونحن نحمولين على الشرط الاول الذي شرطه امير المؤمنين علينا اما ما عرفناه اقررنا به . وما لم نعرفه انكرناه فنرجح في ذلك سلامة ادبائنا بالتصديق بالحق وسلامة انفسنا من القتل بالتزام الشرط

قال لهم امير المؤمنين عليه السلام : كان جوابهم انهم قالوا : ما انت الذي كنت منتظرين لزمانه متوقعين لشخصه ولا الذي نرجو الفرج مع ظهوره قال لهم : ما دليلكم على صحة ذلك اني ما انا هو قالوا : ما هو مأثور عندنا وموجود في كتبنا وبشهرت به انبيائنا ولا منهم قال لهم : ما هو بينوه قالوا : ثلث خصال احدها ليس اسمه كاسمك وقد نطق بذلك لسانك في نبوتك وجهرت به لاصحابك وجعلت ذلك فضيلة لك فنه اخذناك لما قلت ما حكيتك عن المسيح ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد يحلل لكم الطيبات ويحرم عليكم الخبائث ويضع عنكم ضرركم والاغلال التي كانت عليكم فهو كما قلنا ما انت المسمى اذ

اسمك محمد والذي بشرت به باتفاق منا ومنك اسمه احمد والثانية مدته قد بقي لها اربعائة سنة من يوم مبعتك الى حين ظهور هذا المنتظر فقد خالفته ايضا في الاسم والمدة والثالثة المنتظر انما يدعو الى توحيد ربه ولا تعطيل ولا تشبيه ولا كلفة لتلقي نفوسنا حسبما ذكرته في تنزيلك من تحليل الطيبات وتحريم الخبائث ووضعه عنا غمرنا والاغلال التي كانت علينا فاي حجة بقيت لك علينا وليس اسمك اسم من ينتظر بقولك ولا فعلك فعله ولا المدة مدته فقد خالفته كما قلنا في الاسم والمدة والفعل واذا كنت انما تدعون الى شريعته فبقاؤنا في شريعتنا اثر وخير لنا

وصفة المنتظر عندنا رفع التكليفات وانقضاء الشرور ورفع المصائب والشكوك وان لا يتجاوز في عصره كافر ولا منافق وانت اكثر اصحابك يظهر النفاق عليك وانما بغلبة سيفك عليهم سلوا لامرك واذا كان ذلك كذلك فلم تلومنا على قتالك وتناقلنا على طاعتك والدخول في شريعتك . ثم قال لم امير المؤمنين عليه السلام : اكذبا كان قالوا : نعم كذلك كان وكل قولك حق وصدق . قال : فما كان جوابه لم عن هذا الكلام قالوا : يقول امير المؤمنين حسبما جرت به العادة ونسمع ونمتثل بالجواب اذا علمناه وننكره اذا جهلناه قال لم عليه السلام : اما اذا عرفتم ذلك وعلمتموه فلا شك انكم تعرفون صفة الحال كما جرت ان شاء الله . ثم قال امير المؤمنين عليه السلام : كان جوابه لم لا فائلكم على الدخول في ملتي والتمسك بي والصدوق عن امري لانكم اصحاب شرائع وكتب وتمسكون بامرها ناطقون وليس اقاتل من هذه صفة ولا انا رافع الشرائع ولا ذلك كله الي بل كلما ملكت بلداً بسيتني ممن فيه عبدة الاوثان والناذر فلي ان الزمهم الدخول في ملتي او اقتلهم ومن كان في البلدة منكم عرضت عليه اما الدخول في ملتي واتباع امري وشريعتي او اداء الجزية فاذا اكره الوطن الذي ملكته وبسيتني فتحته فمن وزن الجزية منهم اقرره في مكانه ومن انتقل عني تركته ومن قاتلني منهم على مثل ذلك قاتله وانتظرت فيكم حكم ربي قالوا : لك ذلك فما قلت الا حقاً ولا نرى منك الا صدقاً قال لم : اذا استقر ذلك بيني وبينكم وقد تأولتم علي ورفعتم منزلي وفضلي الذي قد اتاني من عند ربي وزعمتم ان الذي تنتظرونه له اسم تعرفونه وفعل تعلمونه ومدة تنتظرونها وهي من مبعتي الى حين ظهور هذا المنتظر بقي له اربعائة سنة فاكتبوا بيني وبينكم مواضعة تضمن كل ذلك وذكره وعلى انكم تدعون الي الجزية طول تلك المدة التي ذكرت ان المبعوث اليكم فيها يأتي غيري فان كنت من جملة المخربين الكذابين فانتهم تكفون مؤثني ويرجع اليكم

الملك اذا ظهر من تنتظرونه وان لم يظهر ومدتي قائمة وشريعتي ماضية وحكمي لازماً ولم
 بأتكم في هذه المدة من تنتظرونه فلصاحب ملتي والقائم بدعوتي والامام الذي يكون
 في ذلك العصر ان يدعوكم الى ماذعوكم اليه اليوم فان اجتمعوه وسلمتم وان ايتم عليه كما
 ايتم عليّ وصددتم عنه واستكبرتم فله ان يأخذكم بالشرط الذي شرطتموه على انفسكم
 ويقابلكم فان قاتلتموه قتلکم ولا يقبل لكم عذراً ويستبيح ملثكم ويهدم شريعتكم يهدمه
 لبيعكم ويعطل كتبكم ويكون ما بقي لكم عذر تحتجون به ولا محال تركنون اليه ولا ابليس
 تعملون عليه وهو المنصور عليكم يقطع شأفتكم وشأفة كل الظالمين فهذا نص المواضعة
 اهكذا هو قالوا : نعم قال امير المؤمنين عليه السلام : المواضعة لم تزل تنتقل من بعد
 صاحب الشريعة والملة من وصي صادق الى امام فاضل حتى وصلت اليّ فهي عندي
 فلم يكن عليه السلام ان ينقض شرطاً أسسه وحكماً بينه وهو معروف وقت ان نشأ في
 الجاهلية محمد الامين فكيف ينقض ما انعم به عليكم ولم يميز لاحد من ائمة دينه وخلفاء
 شريعته ان ينقض ما امر به من قبل انقضاء المدة اتباعاً وتسليماً لحكمه فلما وصل الامر اليّ
 وانقضت تلك السنون المذكورة في المواضعة في عصري وعند تمامها امري اخذت منك
 بحقه ودعوتكم الى شرطكم وشرطه حسب ما تقتضيه الامانة وحكم المعاهدة اكد ذلك بلغكم
 انه صفة الحال قالوا : نعم كذلك كان قال : فاي حجة بقيت لكم عليه وعليّ بعدما اوضحناه
 واي امر تعديت فيه بزعمكم عليكم اذا كنت بشرطكم اخذتكم وما كنتم تنتظرونه اقمته
 عليكم وقد اوسعتكم حلاً وعدلاً اذا بقيت نفوسكم على اجسامكم ونعمكم عليها (٢) لا التفتبها
 بعد الغفلة وتسلموا بعد المعاهدة فاي حجة لكم بعدما وصفناه واي حق معكم بعد ما قلناه
 واي عذر يقوم لكم بعد ما شرحناه قولوا واسألوا تجابوا وتنصفوا ولا يكون لكم قول ولا حجة
 فانصرفوا محجوجين كاذبين ناديين شاكين خائبين فقال : ماذا تقولون قالوا باجمعهم
 هذا والله كله حق وصدق لا نشك فيه ولا نرتاب به قد سمعنا لو فهمنا والله الحجة البالغة
 رب العالمين وصلى الله على نبيه وآله الطاهرين . تم الكلام في هذا الفصل وحسبنا الله
 ونعم الوكيل والحمد لله وحده وبه نستعين اه

وسنشر في الجزء التالي نقفاً من هذا المخطوط ايضاً جلاءً لتحقيق الغامضة



اللاما وعابدوه

عرف المطالعون من مواطنينا كثيراً عن غرائب ديانات البشر وعقائدهم ومعبوداتهم القديمة والحديثة ولكن نظن انه لم يخطر لعافل منهم ببال انه يوجد حتى اليوم اممٌ عريقة في التمدن وهي تعد بالملايين تعبد انساناً حياً مثلهم وتقدم له من انواع التكرمة والتبجيل والاعظام ما لا ينبغي تقديمه الا للاله الحي الازلي القويوم فان اللاما وما دراك ما للاما ان هو الا بشر كسائر الناس يأكل ويشرب وبضحك ويبكي ويغلي^١ ويصيب ومع ذلك فالملايين من الصينيين والهنود والمغول يؤلهونه^٢ تأليهاً يذلون له من ضرور العبادات ما يقضي بالحيرة والاستغراب والدهول هذا ولما كان الموضوع غريباً عجيباً وقد لا يخلو من الفائدة لمن تتبع تاريخ واحوال وشؤون الامم وما انطوت عليه من الشذوذ والمدهشات وأبنا ان نطرحهم بهذه المقالة آخذة بناصيتي الا يجاز والوضوح فنقول:

ان الدين اللاماوي قديم جداً مر عليه زهاء ثلاثة آلاف سنة وهو زاه سائد منتشر في مساحة من المعمور تقرب من سبعمائة الف ميل شدة من ينبوع نهر «الاندوس» الى حدود الصين ومن تخوم الهند الى قفر «كوبي» وتسمى هذه المملكة «تيبة» او «تيبت» وعدد سكانها يتجاوز الستة ملايين وهي مجاورة لجبال حملايا وترتفع عن سطح البحر نحو عشرة آلاف قدم بيد ان هذا الدين لم يقتصر في تلك المملكة فقط بل تسربت تعالىه ايضاً منذ عصور متطاولة الى قبائل وفصائل كثيرة من امة التتر الخيولة بين ضفاف نهر «الولكا» و«كوريا» بجوار بحر اليابان والى كثير من جزائر الهند ومقاطعات الصين حتى يقول الباحثون ان الدين يدبنون بهذا الدين لا ينقصون عن مئة مليون اكثرهم ممن لم اقدم^٣ راسخه في المدينة الشرقية وعرافة تامة في الحضارة بين اصحاب اللوث الاصفر والقوقاسيين من شعوب آسيا الكبرى

ومقر عرش هذا المعبود «استغفر الله» انما هو قصر يسمى «باتولي» مبني في ذروة جبل عتيق مقربة من شاطي^٤ «بارامبوتر» بينه وبين «لاسا» عاصمة البلاد سبعة اميال وفي حضيض ذلك الجبل يتيم نحو عشرين الفا من الكهنة تتفاوت رتبهم الدينية بحسب بعد مشارطهم وقربها من عرش «اللاما» معبودهم الاكبر

وم يعتقدون انه ازل^٥ لا يموت محيط بكل الامور جامع لانواع الفضائل ويسمونه

« اب السماوات » وهو لا يرى الا في مكان سري في قصره يجلس فيه الاربعاء بين مئات من المصاييح الذهبية وعليه من الحلي وانواع الجواهر النفيسة ما يقصر عنه الوصف فيتقاطرون الى زيارته من كل صوب واوب وحذب في موسم معلوم وقليل منهم من يفوز بالدنو منه على قيد اذرع وتلك الذين ينالون شرف الدخول الى مقدسه ان يطرحوا انفسهم الى الارض ركعاً سجدوا وهم بعيدون عنه مرمى النظر اجلالاً له وتكريماً ولا يخص بهذه النخبة السامية الا الملوك وعظما الامراء وزعماء القبائل فيرونه عن بعد من طرف خفي دون ان يخاطبوه او يبس لهم ينبت شفة

وهذه الزيارة تنكي عندهم لمغفرة كل ما اجتروه ويجتروحونه من الآثام والكبائر مدى الحياة ومن العجب انهم يأخذون من رجليه ما يذخرونه في اوعية صغيرة ذهبية ثم يعلقونه كالتائم والتعاليذ في اعنائهم واعضادهم يستشفون بها من الامراض ويدفعون كسيد الابالسة وزغات الشياطين وهم يشترون تلك الذخائر الرجسة بالوف مؤلفة من المال ومن حصل على مثقال منها فقد نال بزمهم سعادة الدارين وجمع بين الحسينين وقد يدخلون الى مطاعمهم ولو بعض نقاط من مفرزه المائي ولكن هيهات ان ينال ذلك منهم الاكل رفيع الندر نافذ الكلمة واسع العطاء فمن خدمه الحظ وخازمه التوفيق بحيث يشبها له ان يجمع بين « المفرزين » معا فهو بين الاقطاب الاعلام امجد من الاسكندر في عصره او فرعون في مصره فيالله مما تخط الى مدارك البشر

وللاما سلطان سياسي فضلاً عن سلطانه الديني ومع ان بلاده تحسب منذ القدم تابعة للامبراطورية الصينية وتوابعها بعض الجزية فهو يدير حكومة بلاده مستقلاً بواسطة عمال يسمونهم « خانات » وامن مدافع وله في « باكين » وغيرها من العواصم في الشرق الاقصى سفراء وامبراطور الصين ذاته يؤدي له الطاعة والاحترام كعبود ولاعوانه الكثيرين الذين يسمونهم « اللامو بين الصغار » انفذ سلطة واسمى مكانة بين عامة الناس وخاصتهم وهم يجيئون الهدايا ويجمعون النذور من جميع بلاد المفلول وثيبة والهند الغربية وغيرها باسم « اللاما العظيم » ومع كونهم فاسدي الاخلاق قبيحي السيرة منغمسين في الملاذ البهيمية يخترعهم الناس اعظم احترام ولم جميعاً من الثروات الطائلة ما صارهم في المقام الاول بين ممثلي تلك الاصقاع وموسريها

وعندهم ان « اللاما » متى ادركه الهرم او مات بسبب آخر من اسباب الموت تفارق روحه ذلك المنزل المتهدم القديم لتحل في مسكن اقوى وامتن فننتقل تلك الروح الى جسد

طفل له عندهم علامات وفروق خاصة كالعجل « آيس » عند قدماء المصريين فيبحثون عنها بواسطة اللامو بين الصغار حتى اذا تحققوا وجودها في أي طفل كان قالوا — هذا هو اللاما — فالتحذوه خلفاً لسلف قبله واقاموا عنه نواباً منهم حتى يبلغ اشده وعلى هذا لا يكون ذلك في زعمهم موتاً طبيعياً بل هو من قبيل الانتقال العادي من موئل الى آخر

وهم يؤمنون بآله واحد يثلثون اقاليمه كما يثلث الهنود « برهما » ويزعمون انه ظاهر اول مرة (سنة ١٠٢٦ قبل الميلاد) وكان يملك في بلاد الهند وهو متجسد بموت في الظاهر ولكنه في الحقيقة ينتقل كما ذكرنا من مسكن الى آخر مع انه ازل في حي سرمد في لايموت ويريدون به نفس اللاما العظيم الذي يسميه الصينيون « هوفو » اي الاله الحي ثم هم يؤمنون بخلود النفس والنشوب والعقاب ولم صلوات واصولم وذبائح وقوابين وكهانة ذات فروض ونذور ومناسك وصوامع واديار وعدد كهنتهم يتجاوز الثلاثين الفا وكلهم يلبس البسة خاصة ذات مناطق صفراء وقبعات تختلف اشكالها واوضاعها باختلاف رتبهم الدينية ولولا الكهنة مدارس تلقنهم فروض الدين ونواميسه وتعاليمه وشيئا من الطب وعلم الهيئة وضروباً من الشعوذة والتدجيل يخرقون بها على العامة المخذوعة باساليبهم السحرية غير ان دهاء الانكليز الذين يستعمل امرهم بعض متهموسي الكشبة ذوي الاماني والاحلام لم يدع هذه الزمرة المضلة وآبها الدجال تثقون بما توارثوه عن آباؤهم منذ آلاف اعوام من المجد السامي والمكانة العليا بل ما برحوا منذ بعض قرن فأتيا يبتشون دعائهم ورسلمهم وينصبون شباكهم واحاييلهم بين اللامو بين متذرعين بكل وسيلة من وسائلهم الفعالة لبسط نفوذهم وتعتين دعائهم في تلك الاقطار حتى الجأوا اللاما واشياعه بعد حملات سالت فيها الدماء سيل الماء الى موالاتهم والدخول في حمايتهم وتحت سيطرتهم الى غير ذلك مما كشف القناع عن بصر الصينيين وامات ثنتهم وصدق يقينهم بذلك المعبود الكاذب فنهضوا عليه نهضة رجل واحد واجلوه عن مقدسه قضى حارباً صاعراً مدحوراً لا بلوي على شيء يلمس من مواليه الانكليز حماية روحه وماله الى غير ما هنالك مما فاضت بيانه صحف الاخبار وجاء منطبقاً على ما يريد الانكليز خلافاً لما يتوهمه البعض من ينظرون الى المراي السياسية بعين الاحول فسبحان مصرف الامور بحكمته ومقلب الاحوال بقدرته ان له لايات تترى تبدو من خلال تعاقب الليل والنهار

ومن غرائب هذه البلاد ان الهواء فيها مع ارتفاعها المتناهي عن سطح البحر ومجاورتها لاعظم جبال آسيا انما هو بارد جاف لا مطر فيه اصلاً حتى ان الثلج قلما يروى في تلك الاصقاع والخشب هناك لا يلى بل يصير صلباً حتى يضارع الصوان ويبقى مع الدهر كذلك اللحم اذا عرضته للهواء يحف حتى يمكن سحقه بسهولة فيصير ناعماً كالكلحل وهكذا يفعلون

ومع انه لا يثبت فيها شجر برّي قط تجدد في اوديتها الخجوبة عن الزعازع والاعاصير اشجاراً مثمرة كثيرة كالنفاخ والتين والكرم والمان والجوز وهناك يزرع الارز والحنطة والشعير وما يماثله من انواع الحبوب فتكون غلاته جيدة بخلاف نجادها المرتفعة المعرضة للرياح فانها لا تصلح للزراعة الا شذوذاً

وهي غنية بمعادنها الثمينة فان الذهب والفضة والحجارة الكريمة كالزبرجد والماس توجد هنالك بكثرة كما يوجد ايضا الرصاص والزنبق والحديد والبورق والملح واهلها على غربة دينهم وخشونة شعاره لينو العريكة دمشقوا خلق خفيفو الروح اولو شجاعة وكرم وامانة ومروءة ينزعون الى الحرية والاستقامة والصدق في معاشراتهم ومعاملاتهم ولهم كاهلي فينيقية الاقدمين اشد الولوع بالتجارة على اختلاف مناحيها واكثرهم زاهد في الزراعة لعقم اراضيهم وقحها ولكنهم يشتغلون باستخراج المناجم والتعدين ولهم حذق عجيب بتثقيب الحجارة الكريمة واصلاحها واظهار رونقها ولعائنها

ولغتهم وان كانت من ذوات المقطع الواحد الا انها واسعة يعبر بها عن المعاني الفلسفية والدينية مهما كانت دقيقة غامضة بسهولة وجلالة وهم يكتبون بها من الشمال الى اليمين كما يكتب الهنود باللغة السانسكريتية ومكتبتهم غنية في آدابها واكثرها اناشيد وتراجم وشروح مستمدة من كتب البوذيين المقدسة

ويذهب اكثر علماء (البيولوجيا) ان اصل هذه الامة مغولي ويقع بين ظهرانيها قليل من المسلمين ومعظمهم من اهالي كشمير ويوجد هنالك ايضا بضعة آلاف من الكاثوليك

ويكثر عند اللامويين تزويج جملة رجال باسراة واحدة كاهالي جزيرة سيلان وهي عادة مستفيضة في كل امة او بلاد تفل نساؤها ويكثر رجالها ولقد اختلف الكتبة والمؤرخون كثيراً في اسم هذه المملكة فمنهم من بدعوها (ثيبة) ومنهم من سميها (تيت) وبعضهم من قال انها (تبت) ولقد ضبطها ياقوت

الجوي بالبلاد المشددة اما الاوريون فيرسمونها هكذا (Phibets) واول سائح استقراً تلك البلاد هو (توماس ماتي) وذلك سنة ١٨١٢ للميلاد ثم وليه القس (هوك) سنة ١٨٤٥ و١٨٤٦ وانما استقراؤهما اياها لم يتجاوز القسم الغربي منها ولكن دعاة اليسوعيين قد عرفوا قبلها العاصمة (لاسا) وما حولها منذ القرن السابع عشر اما سائر اقسام المملكة ولا سيما الشرقية والشمالية فهي ما برحت حتى اليوم تستغمد احوالها في صحاب كثيف وتعد عند الجغرافيين من مجاهل الارض

هذا مجمل ما امكن الوقوف عليه بعد التدقيق والتنقيب عن احوال تلك المملكة الغربية في ديانتها وعباداتها في اقليمها وبيئاتها في طبائع اهلها وعاداتهم اخذناه بمحصلاً عن عدة مصادر هي محل الثقة ثم اطرفنا به المقتبس تفككة لقارئيه وبصورة وذكرى

سليم نخوري

دمشق

قانون تكليف العقارات

الفصل الأول

في العقارات التي عليها تكليف

المادة الأولى — يفرض على العقارات في كل قضاء تكليف واحد بنسبة دخلها ويكون هذا بدل التكاليف الحاضرة وهي الخراج « ويركو » وحصة المعارف والتجهيزات وذلك اعتباراً من السنة المالية التي تلي تحرير هذه العقارات وتخمين ايرادها وفقاً لاحكام هذا القانون ويجوز ضم شيء على اصل هذا التكليف للمعارف والامور النافعة لاهل ذلك القضاء بشرط ان يعين الحد الاعظم لهذه الضمان في قانون الميزانية كل سنة . تعتبر كل دائرة بلدية في الاستانة والبلاد الثلاثة « بك اوغلي ، اسكدار ، ايوب » قضاء عند تطبيق هذا القانون

المادة الثانية — المرات المستعملة مخازن وعامل للتجارة والصناعة تعد من نوع العقارات وان لم يكن فيها بناء وسقف

المادة الثالثة — تعتبر افنية العقارات وحدائقها من ممتلكات الابنية ويفرض عليها مع الابنية تكليف على نسبة سعتها وتعين هذه النسبة بنظامات خاصة . اما الزائد من

الافنية والحدائق عن النسبة المذكورة اذا لم يستعمل للتجارة والصناعة كما هو محرز في المادة الثانية فيتبع قانون تكاليف الاراضي والمرصات . والمرصات المتصلة بالطواحين والمعامل لوضع لوازمها ومصنوعاتها تمد من مشتملاتها وتعتبر مثلها من حيث التكاليف المادة الرابعة - الاستثناء يكون امدائنا او موقنا . اما المستثنيات دائمتها هي :

١ - عقارات الدولة

٢ - عقارات الحضرة السلطانية سوى ما هو للاستغلال منها

٣ - عقارات البيت السلطاني المحررة استوائهم في الميزانية العامة في فصل رواتب البيت السلطاني على شرط ان يسكنوها .

٤ - عقارات البلديات والقصبات والقرى التي يستعملها الناس ولا يراودها .

٥ - النكاح والزوايا المصدق عليها في الدوائر الرسمية ويوت العبادة والاديار وتمنائها التي في حرمها (بشرط في هذه ان لا تكون مستأجرة)

٦ - العقارات المخصصة لاقامة الخدمة والمناجيج والمنولين المصرح بها في الوقفيات اذا لم تؤجر او تستأجر

٧ - العقارات الخاصة بالمدارس والمعارف ودور الخير اذا لم تؤجر او تستأجر

٨ - الدور التي يسكنها الفلاح والمزارع اللذان يحرثان ويزرعان بنفسهما والدور التي يسكنها حراس المزارع والاراضي والحراج والمحلات العدة لايواء الحيوانات وحفظ الحاصلات والآلات والادوات الزراعية (ان جميع العقارات المدرجة في هذه الفقرة الثامنة مشروط بها ان تكون خاصة باستثمار اراضي القرية او المزرعة وان لا تكون مفرزة من الاراضي المعدة للزراعة وموارة)

٩ - الحظائر والزارب والمحال الخاصة بتربية الحيوانات ودود الحرير .

المادة الخامسة - تبقى العقارات المعفاة من التكاليف بموجب معاهدات وقرارات او وثائق اشترطتها الحكومة على نفسها مستثناءة من التكاليف كما كانت وبعد الآن لا يقبل استثناء سوى المواد التي ذكرت في المادة الرابعة الا بقانون مخصوص

المادة السادسة - تعين الادارة المركزية نوع العقارات المذكورة في المادة الخامسة والفقرات الاولى والثانية والثالثة والرابعة والسادسة والسابعة الواردة في المادة الرابعة المادة السابعة - المستثنيات موقنا هي :

١ — الطواحين والمعامل في خلال خمس سنوات مالية تلي السنة التي تم فيها الانشاء
٢ — المساكن التي أنشئت لاسكان العشائر والسيارة والمهاجرين الاولى لعشر سنوات
مالية والثانية لخمس سنوات مالية تمر بعد السنة التي تم فيها الانشاء سواء أنشئت هذه
المساكن من قبل الحكومة او من قبل العشائر او المهاجرين انفسهم .

٣ — الابنية الجديدة الحجرية والخشبية الاولى لمدة سنتين والثانية لمدة سنة واحدة
تلي السنة التي تم فيها البناء الحجري او الخشبي . يجب على اصحاب البناء ان يعطوا في
خلال شهرين من مباشرتهم البناء مأموري المالية في ذلك القضاء بياناً يتضمن موقع الابنية
ونوعها وجهة استعمالها . فاذا لم يعط هذا البيان في مدته المعينة يطرح عليه تكليف
العقار اعتباراً من السنة المالية التي تلي ختام الانشاء . متى اجر البناء كله او جزء منه
او صار في حالة يمكن معها استعماله والانتفاع منه بعد انشاؤه تاماً

المادة الثامنة — الابنية الآتي بيانها تعد من الابنية الجديدة

١ — العلوات التي تضم على الابنية الموجودة

٢ — العرصات التي تعد للاستعمال بالصورة المحررة في المادة الثانية من هذا القانون .

٣ — ما جعل من العقارات الموجودة طواحين ومعامل

المادة التاسعة — العقارات التي عليها تكليف اذا دخلت في عداد المستثنيات يجري
عليها حكم هذا الاستثناء من اول السنة المالية التي تلي السنة المستدعى بها من قبل المكلف
المادة العاشرة — العقارات التي احترقت وخربت او صارت من الخراب الى حال
لا يمكن الانتفاع به واخبر صاحبها موظفي المالية عنها على الاحول وثبت ذلك لديهم
بالتحقيق يرفع عنها التكليف اعتباراً من التقسيط الذي يلي التقسيط المصادف تاريخ
مراجعة صاحبها واخباره اما عرصتها فيجري عليها قانون تكليف الاراضي

المادة الحادية عشرة — المطاحن والمعامل ودور الصناعات اذا لم تشتغل مدة سنة
كاملة على الاقل بدون فاصلة يكون لاصحابها الحق بالعمو الموقت عن ثلاثة ارباع
التكليف في المدة التي لم تشتغل بها . وعلى اصحاب هذه العقارات ان يرفعوا الى الحكومة
بيانين احدهما في اول مدة توقفها عن العمل والثاني في آخر تلك السنة . ويكون حكم
العمو الموقت اعتباراً من التقسيط المصادف نهاية السنة . واذا لم يخبر اصحاب العقارات
في مدة شهر واحد باستئنافها العمل ببيان يقدمونه الى الحكومة يحرمون من التمتع بالعمو

في غضون تلك السنة . اذا استمرت العطلة مدة سنتين فيجب تجديد البيان في كل سنة على الصورة المذكورة

❖ الفصل الثاني ❖

في نسبة التكليف

المادة الثانية عشرة — ان نسبة التكليف هي اثنا عشر في المئة عن الواردات غير الصافية وانما يزداد على هذه النسبة في ميزانية المعارف ما يعادل النصف في المئة للمعارف المحلية في كل سنة

يطرح التكليف على الطواحين والمعامل ودور الصناعات والدور الخشبية المعدة للسكنى بعد تنزيل ربع وارداتها غير الصافية . العقارات المحتوية على الآلات والادوات المخصوصة والمعدة لاجراء صناعة تعد معملاً او دار صناعة . الابنية المنشأة بجدران من الخشب او الواح خشبية او ما يسمونه بغدادي تعتبر خشبية (ولو كان اساسها قائماً على الحجر الى ارتفاع مترين من وجه الارض) الابنية المنشأة من اللبن هي من قبيل الابنية الخشبية .

المادة الثالثة عشرة — تعفى الدور التي وارداتها غير الصافية مائتان وخمسون قرشا فاقل والمعدة لسكنى صاحبها من التكليف جملة . والدور التي ايرادها اكثر من مئتين وخمسين قرشا واقل من الف يصرف النظر عن مائتين وخمسين قرشا من ايرادها

المادة الرابعة عشرة — تحوّر وتخمن العقارات بحسب الايجارات غير الصافية المتعارفة في محلها عامة وبحسب ايراد الابنية التي من نوع واحد وبحسب موقع البناء ومساحته وعدد ادواره وعدد غرف كل طابق منه ونوع المواد التي انشيء منها وبحسب حاله الخاضعة من حيث حسن محافظته وبحسب صورة الانتفاع منه . وعند تخمين الايراد غير الصافي للطواحين والمعامل ودور الصناعات ينظر الى ما فيها من الوسائط الصناعية الثابتة

المادة الخامسة عشرة — اذا لم يوجد وسائط كافية لتخمين واردات البناء الغير صافية تعين قيمة البناء الحقيقية ويعتبر ثمانية في المئة من قيمته ايراداً غير صاف اذا كانت طاحونا او معملاً او دار صناعة او دارا خشبية لسكنى صاحبها وستة في المئة اذا كان من العقارات الاخرى

الفصل الثالث

في تحرير العقارات وتقدير دخلها

المادة السادسة عشرة — تكتب جميع العقارات وتقدر قيمتها لتنفيذ حكم هذا القانون .
يعين مبدأ التحرير والتقدير ببيان من الوالي في الاسنانة والولايات ومن المتصرفين في
الولاية المستقلة

المادة السابعة عشرة — تكون كتابة العقارات من قبل لجنة مؤلفة من ثلاثة اشخاص
تعينهم الحكومة ويكون التقدير والتخمين من قبل لجان يلحق بها وكلاء المكلفين برئاسة
احد المأمورين الثلاثة المار ذكرهم

يكون عدد الوكلاء ثلاثة تختصهم مجالس البلدية في القصبات التي فيها دوائر بلدية
ومجالس الادارة في القصبات التي ليس فيها دوائر بلدية من اناس لم املاك داخل البلدة
وفي القرى تختصهم مجالس القرى . اصحاب العقارات مكلفون براءتها لهذه اللجان
واعطائهم المعلومات الكافية عن احوالها العامة وعن جهة استمالها ومقدار اجرتها و يؤخذ
من يمتنع عن ذلك او يخبر بخلاف الحقيقة عن عمد عشرون قرشاً الى مئة قرش جزاء
تقديراً بحكم المحكمة .

المادة الثامنة عشرة — اذا كان العقار منقسماً ومفرزاً بين اصحابه بصورة رسمية
يضمن ايراد كل قسم على حدة واذا لم يكن مفرزاً بل كان مشاعاً بينهم يضمن ايراده كله
من حيث المجموع

المادة التاسعة عشرة — عند شتم تخمين القرية او الحلي في المدن من قبل اللجنة
التي ذكرت آنفاً يعلن اكمال الجدول الذي يتضمن قيد العقارات وتخمين ايرادها ليطالعه
المكلفون ويعنوا فيه نظراً مدة شهر واحد ثم يبلغ كل مكلف على الانفراد ورقة اخبارية
تضمن مقدار الايراد الذي ضمن عقاره ولكل مكلف الحق بالاعتراض في مدة شهرين
من تاريخ تبليغ الاخبارية لمأمور مال القضاء لينظر به في لجنة التخمين

وللمأمور مال أيضاً الحق بالاعتراض على تقدير اللجنة وتخمينها في مدة شهرين
من بعد ارسال الجدول المذكور اليهم وحينئذ يكونون مكلفين بتبليغ اعتراضهم هذا
مع اسبابه الموجبة بصورة مختصرة للمكلف صاحب العقار لتقدير الذي لا يعترض
عليه قبل انتهاء المهلة المذكورة يكون قطعياً

المادة العشرون — على اللجنة ان تنظر في الاعتراضات المذكورة وتسمع اعتراض

المعترضين شفاهاً اذا طلبوا او وجد لزوم لذلك وان تشاهد العقارت مرة ثانية وتحقق احوالها عند الايجاب تعطي قراراً مدة شهرين على الكثير ويبلغ هذا القرار الى المكلفين بواسطة مأموري مال القضاء

المادة الحادية والعشرون — للمكلفين ان يستأنفوا قرار لجنة التخمين في خلال شهر واحد من تاريخ تبليغه لدى لجنة توفف في كل لواء باعتراض يقدمونه لمأموري المال حاوراً للدلائل الكافية

توفف هذه اللجنة برئاسة الوالي او المتصرف هكذا: الدفتردار او المحاسب ومأمور تنتخبه الحكومة وثلاثة اعضاء يقترح عليهم بواسطة المجالس العمومية في الولايات والجمعية العمومية البلدية في الاستانة اذا لم يكن المجلس العمومي فيها ملتئماً من بين ستة من اصحاب الاملاك يبعث بهم اللواء

ولمأموري المال ايضاً ان يراجعوا لجنة الاستئناف في المدة نفسها على شرط ان تبلغ مراجعتهم هذه للمكلف ٠ وعلى لجنة الاستئناف ان تعطي قرارها في خلال شهرين المادة الثانية والعشرون — اذا ادعي بان قرار لجنة الاستئناف مخالف للقانون والنظام فـللمكلفين ومأموري المال ان يراجعوا في خلال شهر واحد من بعد تبليغ القرار على الطريقة المار ذكرها اللجنة المركزية التي توفف في نظارة المالية بانتخاب الناظر من رئيس وستة اعضاء ٠ وهذه اللجنة لاتبحث في المعاملات المتعلقة بتقدير الابراد

المادة الثالثة والعشرون — للمكلفين ان يعترضوا في خلال شهرين من بعد اعلان جدول التكليف الذي يكتب بنهاية التحرير العمومي على التكليف المطروح عليهم في الاحوال الآتية وفقاً للطريقة المدرجة في المادة التاسعة عشرة وما يليها من المواد ١ — اذا وجد سهو وامتنعت الحكومة عن تصحيحه ٠

٢ — اذا لم يحجر التبليغ المحرر في المواد ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢ او جرى بصورة مخالفة للقانون

تكون هذه المدة عبارة عن شهر واحد من ابتداء اعلان جداول التحرير الخاص الذي يجري في خلال التحرير العام وجداول التكاليف التي تحرر لأول مرة في ختام التعديلات ٠

المادة الرابعة والعشرون — الاعتراضات الواقعة على مقدار التكليف المدخل في جدول التكاليف لا تؤثر تحصيله ولكن اذا تقرر ان الاعتراض محق يرد المقدار الزائد الى المكلف حالا .

المادة الخامسة والعشرون — مقررات اللجان المبينة في المواد السابقة تعطى بالاكثرية على شرط ان لا يكون عدد الاعضاء اقل من النصف فاذا تساوت الآراء يرجح الطرف الذي فيه الرئيس

الفصل الرابع

في دفتر امهات التكليف ومعاملاته التعديلية

المادة السادسة والعشرون — الجداول التي تخور بمعرفة اللجان المار ذكرها حاوية تحرير العقارات وتقدير ايرادها والتعديلات المتوالية التي تجري بموجب هذا القانون تألف منها دفتر الامهات .

دفتر الامهات يكون مأخذاً للجداول التكاليف السنوية المحررة في المادة الثالثة من قانون تحصيل الاموال المؤرخ في ٥ شعبان سنة ١٣٢٧ و ١٨ اغسطس سنة ١٣٣٥ المادة السابعة والعشرون — في كل عشر سنوات تجري تعديلات عمومية لتقدير ايراد العقارات وفقاً لاحكام هذا القانون .

المادة الثامنة والعشرون — اذا نقص ايراد العقار او زاد مقداره الثلث لبعض الاسباب الدائمة يعدل تعديلاً خاصاً بطلب من صاحب العقار او مأمور المال عدا عن التعديلات العمومية التي تجري في كل عشر سنوات . تطلب التعديلات وفقاً للفقرة السابقة في السنة الأشهر الاولى من السنة المالية وتعتبر التعديلات من السنة الآتية .

المادة التاسعة والعشرون — يقضى على اصحاب الاملاك بيان الخصوصات الآتية الى قلم المال كتابة من ابتداء تطبيق هذا التكليف في كل قضاء ويعطى لهم علم وخبر بمقابلة ذلك .

١ — العلاوات التي تضم على الابنية الجديدة الموجودة .

٢ — العرصات التي خصصت من جديد للجهات المصرح بها في المادة الثامنة من هذا القانون .

التبديلات التي تحصل في جهة استعمال الابنية بصورة تدعو الى انقطاع الاستثناء

المستطور بهذا القانون والتحولات التي تغير نسبة التكليف المعينة في المادة الثانية عشرة .

تعطى البيانات المذكورة في خلال شهرين اعتباراً من استعمال الاملاك على الوجه المذكور او من حدوث التحولات فيها واذا لم تعط البيانات في المدة المذكورة يضم على التكليف المقتضي اخذه على حسب التبدلات التي لم يخبر عنها عشرة في المئة مرة واحدة

المادة الثلاثون — اصحاب الاملاك التي نسبت في التحرير العام ولم تكسب يقضي عليهم انتهاء امرها قبل انقضاء السنة الثانية التي تلي ختام اعمال التحرير واذا لم يخبروا بدون عذر مقبول يضم على اصل تكليف ذلك العقار عشرون في المئة من ابتداء تطبيق هذا القانون في ذلك المحل الى آخر السنة التي يطلع بها على النسيان .

المادة الحادية والثلاثون — تجري المعاملات المتعلقة بتعديلات دفتر الامهات وفقاً للقواعد الموضوعة للتحرير العمومي وانما تؤول اللجنة التي تنظر في هذه المعاملات من اربعة اعضاء اثنين منهم ينتخبان من اعضاء مجلس الادارة واثنان من اعضاء المجلس البلدي برئاسة مأمور المال . ينظر في الاعتراضات التي يقدمها المكلفون او مأمورو المال المحليون على قرار هذه اللجان في المدة المحررة في المواد السابقة في مجالس الادارة المحلية . يكون قرار مجالس الادارة قطعياً على شرط ان يبقى حتى المراجعة للجنة المركزية في المدة المعينة محفوظاً في الاحوال المحررة في المادة الثانية والعشرين .

الفصل الخامس

في المكلفين الملزمين بأداء التكليف

المادة الثانية والثلاثون — اصحاب العقارات وذوو اليد على العقارات مكلفون بدفع التكليف المرتب عليها واذا لم يوجد هؤلاء فالساكنون فيها .

المادة الثالثة والثلاثون — المتصرفون في العقار مشاعاً يكلفون بنسبة حصصهم الشائعة . العقار المقيّد على شخص متوفي يعتبر غير مقبوض وتجري بحقه المعاملة وفقاً للفقرة الأولى هذا اذا لم يتم ويقيّد في ادارة الطابور او اذا لم يسقط الورثة حقوقهم الارثية كلها او بعضها .

احكام عمومية

المادة الرابعة والثلاثون — يحرم ناظر المالية نظاماً بشخص كيفية تنفيذ هذا القانون

- وبعد تدقيقه في مجلس شورى الدولة يتخذ بأرادة سلطانية .
- المادة الخامسة والثلاثون — تعتبر الاحكام التي كانت مرعية قبلا في تكليف العقارات لاغية من ابتداء تنفيذ هذا القانون في كل قضاء وأقاليم التحريير العام والمباشرة في تحصيل التكليف .
- المادة السادسة والثلاثون — عقارات الحرمين الشريفين مستثناة من احكام هذا القانون .
- المادة السابعة والثلاثون — ناظر المالية مأمور بتنفيذ هذا القانون .

مخطوطات ومطبوعات

حالة المسلمين الا في صادية

تأليف السيولشانيه

La position économique de l'Islam, par M. A. Le chatelier

اعتاد صديقنا صاحب هذه الرسالة ان يربنا كل يوم اثرًا من آثار علمه واطلاعه ودليلاً من أدلة مضائه واضطلاعه فهو اليوم المرجع الاكبر في احوال الاسلام والمسلمين ومن اعظم ائمة الزريين الواقفين على منزلة الشريين ورسالته هذه كسائر ما خطته براعته اوصدرت تحت رعايته مملوءة بحسن الظن بمستقبل المسلمين افتتحها بقوله ان العالم الانكليزي السكوفي الذي ذهب بفضل التقدم في اعماله الاقتصادية لبس هو من حيث العدد الانصف العالم الاسلامي في عبارة عن ١٢٥ مليون ساكن في بريطانيا العظمى والولايات المتحدة وكندا واستراليا وافر بقية الجنوبية والهند وسائر المستعمرات الساحلية التي ينزلها العنصر الانكليزي اما الاسلام فتجمع كلمته من ٢٠٠ الى ٢٥٥ مليون من البشر ويمتد سلطانه من الصحاري النجمدة في ايرتيش واوهيو الى مدن افريقية الجنوبية من الارخبيل الهندية الى شواطئ الاندليك مع فروع في اوربا تصل الى ليتوانيا وبولونيا كي ينتشر من وراء البحر المحيط الى اميركا واستراليا . والمسلمون كالكسوفيين تجدهم تارة مجتمعين في بلاد اسلامية خاصة بهم واخرى متفرقين بين من لا يدينون بدينهم فمركزهم الجغرافي ذو شأن في العالم

والسواد الاعظم من المسلمين في آسيا فهو فيها عبارة عن ١٧٠ مليون مسلم اي مثل مجموع سكان اميركا الشمالية والجنوبية واسبانيا والبرتغال . في الهند الانكليزية ٢٨٤ مليوناً من السكان منهم ٦٣ مليون مسلم وفي الهند الهولندية ٣٠ مليوناً وليس معدل السكان واحداً في كل بلد بل ان نسبة المسلمين في الهند الصينية الى سائر السكان نسبة ١٠٠ — ٥٠ في المئة وفي بخارى ٩٦ في المئة وبلوچستان ٩٤ في المئة و٩٣ في فارس وينزل معدلهم كلما تقدمت نحو الغرب فيينا تجددهم ٩٨ في المئة ببلاد العرب ينزل معدلهم الى ٨٦ في المئة بين النهرين والى ٧٨ في المئة في آسيا الصغرى والمعدل العام للمسلمين في آسيا هو ٣٠ في المئة ويبلغ في افريقية ٣٦ ففيها ٦٠ مليون مسلم مقابل ١٦٥ مليون افرقي وينزل معدل نفوسهم من الشمال الى الجنوب ويكون سوادهم الاعظم في الشمال اي في مراکش والجزائر وتونس وطرابلس ومصر واصل سكان افريقية الشرقية من جالية العرب والهنود ينزلون في رودوسيا والترنغال والتانال والراس ومدغسكر وجزائر كومور وموريس ولا يقل عددهم عن مائتي الف ولا يكثر عدد المسلمين في اوربا الا في بلاد روسيا ففيها نحو ثلاثة ملايين من التاتار وكذلك ترى في شبه جزيرة البلقان اجناساً من الاتراك والارناؤد وغيرهم لا يقل عددهم عن ثلاثة ملايين ايضاً اما سائر بلاد اوربا فليس فيها الا عدد قليل لا يتجاوز الالوف من المسلمين المختلفين في اجناسهم وليس هو ثابتاً . واذا اضفنا الى اوستراليا وتوابعا نحو ٤٠ الى ٥٠ الف افغاني وهندي وماليزي ومثل هذا القدر في اميركا باسرها من الاتراك والعرب والصينيين والزنج جات معنا لائحة صحيحة في الجملة من العالم الاسلامي

وبعد ان افاض قليلاً في وصف معتقدات المسلمين وعاداتهم قال ان لسان القرآن الالهي يحدث صلة اخرى بين اعضاء الاسرة الاسلامية الكبرى فاذا كانت اللغة العربية لا يتكلم بها سوى خمسين مليوناً من الآسيويين والافريقيين من نهر الفرات الى النيجر فهي يترنم بها في المدارس الاسلامية من بلاد الصين الى افريقية الجنوبية من جزائر الفلبين الى مراکش وتستعمل لغة كتابة عند الخاصة في كل بلد اجتمع فيها المسلمون ليتلوا القرآن العظيم . وان الشعوب الاسلامية التي لم تقبل اللغة العربية قد دخل الى لغاتها منها الشيء الكثير فالفارسية والتركية والملازية تكتب بحروف عربية ولغة

الاوردو الهندية قد دخلها كثير من التعابير العربية وكذلك اللغة السواحلية ولغة البول
والبربر في افرقية

وذكر المؤلف تاريخ الصحافة الاسلامية بالبحار فقال مع ان تاريخها يرد الى سنة
١٨٢٨ ايام انشاء محمد علي الوقائع المصرية اصبحت الآن منتشرة ولا سيما في مصر على
عهدنا الاخير والبلاد العثمانية بعد الحرية وقد صدر الصحف الاسلامية في الارض باربعائة
منها ١٥٠ باللغة العربية اكثرها في مصر والشام وتونس . وافاض في المشاريع الصناعية
والتجارية التي اخذ المليون في آسيا خصوصاً يدخلون فيها ويرزون كثيرهم من الشعوب
الراقية واحسن ظنه بنهضة المرأة التركية وكيف يحاول المجددون في الاسلام اليوم ان
يدخلوا العارم والفنون حتى في الجوامع كما فعل التونسيين في جامع الزيتونة والمصريين
في الازهر وذكر مثالا من السكك الحديدية واعمال الكهرباء والبخار ولاسيما في البلاد
العربية فقال ان المدينة المنورة مع انها في فقر بين البدو تار بالكهربائية كما ان ينبع
تشرب من ماء مقطر بالبخار والامام يحيى في اليمن يطلب تمديد سكة حديدية من
الحديدة الى صنعاء

ثم قال ان المفكرين من السياسيين الغربيين لينظرون وحق لم ان ينظروا الى هذه
النهضة الحديثة في الاسلام لا من حيث الدعوة الى الجامعة الاسلامية ولا من حيث
الجامعة الوطنية بل الواجب ان ينظروا الى مايتوقع امره في القريب العاجل من قيام
مدينة اسلامية متماسكة تفصل الى توطيد اسباب الشكافل الاقتصادي بين اجزائها وقال
ان السياسة الحميدة اخفقت في دعوتها للجامعة الاسلامية فانقضت عرى تلك الدعوة
يوم ظفر احرار سلاتيك باعادة الحرية الى المملكة العثمانية وقال ان السياسة العثمانية
الاسلامية الالمانية تهي^٤ السلطنة للتقسيم (كذا) والعقول لا تنصور كيف تخلص من
الانقسامات الجنسية لايجاد فكرة الوطنية

فالفكرة الاقتصادية هي التي تهتم العالم الاسلامي اكثر وهي بها اليوم يطالب المتغلبون
كما تطالب مصر انكسرتا بتولها منافع مصر يجب ان تكون لمصر وكذلك فعل الجزائريين
بعد سبعين سنة من استيلاء فرنسا عليهم فقاموا وهم لا يخافون بأس القوة يطالبون باراضيهم
التي استصفت فعلى اوروبا ان تتأكد قيام المسلمين بالجامعة الاقتصادية مما هو مائل للعيان
من حال ايران فان اهلها يريدون ان يقاتلوا كل من هو غير ايراني وان يطبقوا القواعد
المدينة والاقتصادية على الاسلام لتكون بلادهم لم في اقتصادياتها ومشاريعها النافعة وهنا

قال المؤلف بان علي اوريا ان تفتخر المسلمين وجرائدكم التي تنفع فيهم روح النهوض
لترى كيف تحقق سياستها الاقتصادية فينادي لسان حاطم جميعاً بلاد الاسلام للمسلمين
ونحن نقول اذا صحت هذه الاحلام والاوهام آمين
منطق المشرقين

والقصيدة المزدوجة في المنطق للرئيس ابي علي بن سينا

« عنت بتصحيحه المكتبة السلفية بالقاهرة ص ٨٣ »

احسنت هذه المكتبة بنشر هذا السفر النفيس على اسلوب راق شأنها في كل ما نشرته
حتى الآن وقد صدرت الكتاب بترجمة الرئيس عن اصح المصادر فجاءت الترجمة
في ٣٨ صفحة وهي من احفل تراجم الرئيس . اما الكتاب والقصيدة فهما في الغاية
من السلاسة والوضوح بحيث يسهل على من لم يدرس هذا الفن على اصوله ان يتلقفه
بنفسه من هاتين الرسالتين ولا عجب فكلام الرئيس رئيس الكلام . وهالك ما قاله
المؤلف « في ذكر العلوم » نقله نموذجاً لم يسعده الحظ بقراءة شيء كثير من قلم الرئيس
وعنواناً على كيفية تفسيحهم العلوم في عهده قال : « ان العلوم كثيرة والشبهات لها
مختلفة ولكنها تنقسم اول ما تنقسم قسمين : علوم لا يصلح ان تجري احكامها الدهر
كله بل في طائفة من الزمان ثم تسقط بعدها او تكون مغفولاً عن الحاجة اليها باعيانها
برهة من الدهر ثم بدل عليها من بعد . وعلوم متساوية النسب الى جميع اجزاء الدهر
وهذه العلوم اولى العلوم بان تسمى « حكمة »

وهذه منها (اصول) ومنها (توابع وفروع) وغرضنا هنا هو في الاصول وهذه التي
سميناها توابع وفروعاً فهي كالتب والفلاحة وعلوم جزئية تنسب الى التنجيم وصنائع اخرى
لا حاجة بنا الى ذكرها

وتنقسم العلوم الاصلية الى قسمين ايضاً : فان العلم لا يخلو اما ان ينتفع به في امور
العالم الموجودة وما هو قبل العالم ولا يكون قصارى طالبه ان يتعلمه حتى يصير آلة لعقله
يتوصل بها الى علوم هي (علوم امور العالم وما قبله) . واما ان ينتفع به من حيث يصير
آلة لطالبه فيما يروم تحصيله من العلم بالامور الموجودة في العالم وتبيله

والعلم الذي يطلب ليكون آلة — قد جرت العادة في هذا الزمان وفي هذه البلدان
ان يسمى (علم المنطق) ولعل له عند قوم آخرين اسماً آخر لكننا نؤثر ان نسقيه الآن
بهذا الاسم المشهور

وانما يكون هذا العلم آلة في سائر العلوم — لانه يكون علماً منبهاً على الاصول التي يحتاج اليها كل من يقتنص المجهول من العلوم باستعماله للمعلوم على نحو وجهة يكون ذلك النحو وتلك الجهة مؤدياً بالباحث الى الاحاطة بالمجهول فيكون هذا العلم مشيراً الى جميع الانحاء والجهات التي تنقل الذهن من المعلوم الى المجهول . وكذلك يكون مشيراً الى جميع الانحاء والجهات التي تقلل الذهن وتوهمه استقامة مأخذ نحو المطلوب من المجهول ولا يكون كذلك . فهذا هو احد قسمي العلوم

واما القسم الآخر — فهو ينقسم ايضاً اول ما ينقسم قسمين : لانه اما ان تكون الغاية في العلم تزكية النفس مما يحصل لها من صورة المعلوم فقط واما ان تكون الغاية ليس ذلك فقط بل وان يعمل الشيء^٤ الذي انتقشت صورته في النفس

فيكون الاول تنعاطي : الموجودات لا من حيث هي افعالنا واحوالنا لتعرف اصوب وجوه وقوعها منا وصدورها عنا ووجودها فينا والثاني يلغى فيه لفت موجودات هي افعالنا واحوالنا لتعرف اصوب وجوه وقوعها منا وصدورها عنا ووجودها فينا

والمشهور من اهل الزمان انهم يسمون الاول (علماً نظرياً) لان غايته التصوي نظر و يسمون الثاني منها (عملياً) لان غايته عمل .

واقسام (العلم النظري) اربعة : وذلك لان الامور اما مخالطة للمادة المعينة حدّاً وتوأمّاً فلا يصلح وجودها في الطبع في كل مادة ولا يعقل الا في مادة معينة مثل الانسانية والعظمية وان كانت بحيث لا يمتنع الذهن في اول نظره عن ان يحلها كل مادة — فيكون على سبيل من غلط الذهن بل يحتاج الذهن ضرورة في الصواب ان يتصرف عن هذا التجويز ويعلم ان ذلك المعنى لا يحل مادة الا اذا حصل معنى زائد يهبثها له وهذا كالسواد والبياض فهذا من قبيل الموجودات والامور .

واما امور مخالطة ايضاً كذلك والذهن وان كان يحوج في صحة تصور كثير منها الى الصفة بما هو مادة او جار مجرى المادة — فليس يمتنع عنده وعند الوجود ان لا يتعين له مادة وكل مادة تصلح لان تخالطه مالم يمنع مانع وليس يحتاج في الصلوح له الى ممد يخصه به مثل الثلاثية والثنائية من حيث هي مشكونة وتعرض الجمع والتفريق ومثل التدوير والتربيع وجميع ما لا يفتقر وجوده ولا تصوره الى تغير مادة له وهذا قبيل ثان من الامور والموجودات

واما امور مبيانة للمادة والحركة اصلا فلا تصلح لان تخلط بالمادة ولا في التصور العقلي الحق مثل الخالق الاول تعالى ومثل خسروب من الملائكة وهذا قبيل ثالث من الموجودات

واما امور ومعان قد تخلط بالمادة وقد لا تخلطها فتكون في جملة ما يخالط وفي جملة ما لا يخالط مثل الوحدة والكثرة والكلّي والجزئي والعلة والمعلول .

كذلك اقسام العلوم النظرية اربعة لكل قبيل علم .

وقد جرت المادة بان يسمى العلم بالنسب الاول (علماً طبيعياً) وبالقسم الثاني (رياضياً) وبالقسم الثالث (آلياً) وبالقسم الرابع (كلياً) وان لم يكن هذا التفصيل متعارفاً فهذا هو العلم النظري

واما (العلم العملي) فانه ما يعلم كيفية ما ينبغي ان يكون عليه الانسان في نفسه واحواله التي تخصه حتى يكون سعيداً في دنياه هذه وفي آخرته وقوم يخصون هذا باسم علم الاخلاق

ومنه ما يعلم كيف يجب ان يجري عليه امر المشاركات الانسانية لغيره حتى يكون على نظام فاضل — اما في المشاركة الجزئية واما في المشاركة الكلية والمشاركة الجزئية هي التي تكون في منزل واحد والمشاركة الكلية هي التي تكون في المدينة

وكل مشاركة فانما تتم بقانون مشروع وبمثول لذلك الثنائون المشروع يراعيه ويعمل عليه ويحفظه ولا يجوز ان يكون المثولي لحفظ المقتن في الامرين جميعاً انسان واحد فانه لا يجوز ان يتولى تدبير المنزل من يتولى المدينة بل يكون للمدينة مدير ولكل منزل مدير آخر . ولذلك يحسن ان يفرد (تدبير المنزل) بحسب المثولي باباً مفرداً و (تدبير المدينة) بحسب المثولي باباً مفرداً ولا يحسن ان يفرد التقنين للمنزل والتقنين للمدينة كل على حدة بل الاحسن ان يكون المقتن لما يجب ان يراعى في خاصة كل شخص وفي المشاركة الصغرى وفي المشاركة الكبرى شخص واحد بضاعته واحدة وهو (النبي)

واما المثولي للتدبير وكيف يجب ان يتولى فالاحسن ان لا تدخل بعضه في بعض وان جعلت كل ثقتين ايضاً باباً آخر فقلت ولا بأس بذلك لكنك تجد الاحسن ان يفرد العلم بالاخلاق والعلم بتدبير المنزل والعلم بتدبير المدينة كل على حدة وان تجعل الصناعة الشارعة ما ينبغي ان تكون عليه امراً مفرداً

وليس قولنا « وما ينبغي ان تكون عليه » مشيراً الى انها صناعة ملفقة مخترعة ليست

من عند الله ولكل انسان ذي عقل ان يتولاها كلا بل هي من عند الله وليس لكل انسان
 ذي عقل ان يتولاها ولا حرج علينا اذا نظرنا في اشياء كثيرة مما يكون من عند الله انها
 كيف ينبغي ان تكون
 فلتكن هذه العلوم الاربعة اقسام العلم العملي كما كانت تلك الاربعة اقسام
 العلم النظري اهـ

الهيئة والاسلام

لمؤلفه السيد هبة الدين الشهرستاني طبع ببغداد في مطبعة الآداب سنة ١٣٢٨
 ص ٣١٤

ذكر المؤلف ان الاسلام يوافق آراء الفلسفة الحديثة اكثر مما يوافق القديمة
 خصوصاً في الفلكيات وقد فسر كثيراً من الآيات المشككة والروايات المضلة قال : « في
 الناس اناس يزعمون سلوك الشارع في ابواب الفلكيات مسلك الحكماء وان الهيئة القديمة
 هي الموافقة للشريعة القديمة فلاجل ذلك تراهم عند اعتقادهم بطلان الفلسفة الغالبة
 تزل اقدامهم ويضعف التزامهم بنواميس الشريعة الطاهرة فتصعدت من تصنيف هذا
 الكتاب بيان مخالفة الاسلام لمعظم مباني الهيئة البطليموسية وموافقته للآراء المكتشفة
 في الهيئة الجديدة فينبغي ان يكون تصديقهم للعلوم العصرية سبباً لرسوخ العقائد
 الدينية ومزيد اليقين بصدق باقي مقالات النبي الامي والائمة من اهل بيته » . والمؤلف
 مشهور بسعة الاطلاع فشكره على تحفته

غرائب الغرب

لصاحب المقتبس طبع بمطبعته ص ٢٠٤

هي بعض اشاعده وعرفه صاحب هذه المجلة عن ديار الغرب نشر اولاً في بعض اجزاء
 هذه السنة والسنة الماضية وجردها على حدة وهذه مقدمته وهي تتم عن الغرض من نشره :
 « هذه فصول ومقالات بل آحاد وتأوهات كتبها في وصف معالم الغرب ومآلاته
 فيه وثقافته عذ وانا على مثل اليقين بانها لا تحمل في مطالوبها من تلك المدنية الساحرة الا
 بقدر ما تصل اليه يد غابر سبيل ويتفطن له فكر النزول والخيال راجياً من كرمه تعالى
 ان ينفع بها قراء العربية وممن استمد العرب والتبصر نعم المولى ونعم النصير »

رسائل البابية

نشر البارون روزن الروسي المتوفى ٦٣ رسالة بالفارسية والعربية كتبها بهاء الله

المصلح الثاني في المذهب البابي . والعربية منها كما قال احد الناظرين في هذه الرسائل وان كانت تبدو في صورة وحى قرآني لا تخرج عن كونها كتبت لتقوية البايين على تحمل المصائب في سبيل ايمانهم والعمل بما توحى به الحقيقة الكلية والرسالة العشرون منها المسماة «سورة الملوك» عبارة عن شكوى صاحب المذهب واتباعه من بعض ماينالهم من الموظفين الذين اضطهدوا من اتبعوا مذهب الباب . ولئن كان البهاء يتجو فيها مخي القرآن في الانشاء فيغتر بها بعضهم لاول وهلة الا ان من يحسن كتابة لغته لا يلبث ان يرى اغلاطاً عربية واكثرها في التركيب

معيار الفتاوي

نشر المسيو اميل امار من علماء المشرقيات في فرنسا ملخص فتاوي فقيه المغرب ابي العباس احمد بن يحيى الوثرسي المتوفى سنة ٩١٤ هـ في مجلدين وترجمها الى الافرنسية مع تعليق الشروح اللازمة لها . وهذا الكتاب هو فتاوى صدرت عن مفتي افريقية اي تونس وولايته قسنطينة والجزائر وعلماء الاندلس والمغرب الاقصى وهو عبارة عن ولاية وهران وبلاد مراکش . وكاتب طبع هذا الكتاب برمته على الحجر في فاس في ١١ مجلداً تدخل في ٤١٢٢ صفحة فسق الناشر هذه الفتاوي حتى جاءت مثل كتاب دالوز في القانون مرجعاً يسهل الرجوع اليه

ثلاث مجلات جديدة

الحقاني — مجلة دينية علمية اخلاقية اجتماعية عمرانية لصاحبها الشيخ عبد القادر الاسكندراني يحررها نخبة من اهل الفضل بدل اشتراكها في دمشق ريال واحد وفي البلاد العثمانية ريال وربيع وفي الاقطار الاجنبية ٧ فرنكات وتصدر مرة في الشهر النديم — مجلة كاثوليكية سياسية اخبارية تاريخية ادبية علمية لمنشئها شاكرا افندي عون ويعاونه بانائها بعض اصحاب الاقلام قيمة اشتراكها في بيروت ريالان وفي البلاد الخارجية عشرة فرنكات وهي تصدر مرتين في الشهر

توزيع الافكار — مجلة دينية ادبية سياسية تصدر كل شهر مرة في بغداد لصاحبها عبد الهادي افندي الاعظمي ومديرها نعمان افندي الاعظمي قيمة اشتراكها في الممالك العثمانية مجيدي وربيع وعشرة فرنكات في الخارج

كتب متفرقة

معنى الحياة — عربي عن الانكليزية وديع افندي البستاني وهو تأليف اللورد افيري

المشهور وفيه نصائح للناشئة في قوة الارادة وصدق العزيمة والثبات والشجاعة والاقتصاد
يطلب من مكتبة المعارف في مصر

تقرير السرالدين غورست سنة ١٩٠٩ — هو التقرير الذي يصدره كل سنة معتمد
انكلترا في مصر عن الحركة الادارية والسياسية والعلمية فيها صدر بالعربية والانكليزية
والفرنسية وفيه كلام طويل على المعارف المصرية وغو الحركة للتعليم وازدياد عدد
الشبان وانكشاف العناية بتعلم العلوم باللسان العربي المبين و يطلب من مطبعة
المقطم بالقاهرة

القطار السريع في علم البديع — مختصر في علم البديع لغني بك ناصف من شيوخ
الادب في مصر وهو شرح بديعية نبي الدين

سِيرُ الْعِلْمِ وَالْاجْتِمَاعِ

الشعري البانية Sirius

قرأت في المقتبس رسالة من بغداد تبحث في الشعري العبور فشكرت عناية الكاتب
بهذا البحث النافع وارجو مواصلة القراء بشذور هذا العلم الساطع بيد ابي وجدت فيها
هفوة لعلها من النقل او النشر وهو قوله : « ان العلامة شارل نوردمان يقول بان الشعري
تبعد عنا نحواً من خمسمائة مرة بعد الشمس عنا » والصحيح انها تبعد عنا زهاء خمسمائة
الف وثلاثة وعشرين الف مرة بعد الشمس عنا وتتأني معرفة ذلك من رصد اختلافها
السنوي وهو الزاوية الحاصلة عندها التي يقابلها قطر فلك الارض وهي اصغر من ان
نقاس الابدق الآلات لان فلك الارض من ذلك المكان السحيق يرى كنقطة متقدمة
بنور الشمس المشع لكها في غاية الضعف وقد عرف لها اختلاف سنوي جزئي وهو
بحسب قائمة اورمان ٠٥٣٩ من الثانية فيقتضي لوصول نورها اليها ثمانين سنين وثلث سنة
تقريباً وبالتدقيق ٨٥٣ ثم بحسب مادتها وهي ثلاث مرات وربع مثل مادة الشمس
فكون قوة الجذب فيها اشد من قوة الجذب في الشمس وتوابعها معاً (السيارات واقمارها)
فلو وجدت على بعد خمسمائة مرة مثل بعد الشمس عنا لدنت الشمس اليها ثم اسرعت
نحوها مضطرة اشد التجاذب (لان الجاذبية تنفخ بالقلب كربع البعد) اما للدوران

حولها اول الاندماج فيها والواقع ان الشعري الجانية من النجوم المتباعدة عنا وان شمسنا (ونظامها) سائرة نحو نقطة بالقرب من الجاني واستتبع بعض الراصدين ان قرب « الكيوفي » انور كواكب الثريا قطب دوران حقيقي للكواكب (الشمس) التي تتألف منها عقود البروج كافة وهذا الرأي الاخير لم يجهز بصحته حتى الآن والشعري الجانية محسوبة من النجوم المزدوجة وقيل بانها تدور حول جرم مظلم اعظم منها قليلاً ومدة دورانها حوله ٥٢ سنة تقريباً

ثم ذكر ان « الشعري الجانية هي الينا اقرب هذه الكواكب المنتشرة على بساط المجرة » والمعلوم عنها حتى الآن انها الرابعة في البعد عنا بين الثوابت لانه عرف لثلاثة كواكب اختلاف سنوي اكثر واقرهم الينا « *Al. centauri* قنطوروس » اختلافه السنوي ١٠٧٥ اي ثلاثة ارباع الثانية فيكون بعده عنا قرابة ٢٥٢ الف مرة بعد الشمس عنا يقتضي لوصول نوره الينا اربع سنين ويظن بعض علماء الهيئة ان بين النجوم الضخيلة التي تعد بالملايين عدد قليل منها اقرب الينا من قنطوروس

لتفرض للاشماعة على تصور قدر الشمس الهائل وبعدها عنا ولاجل مقابلة المسافات الشاسعة المذكورة ان كرة قطرها قدمان تمثل الشمس فتكون الارض كحبة حمص صغيرة على بعد ٢٢٠ قدماً عنها وتكون اقرب الثوابت الينا على بعد تقديره بالتقريب ٨٠٠٠ ميل عن مثال الشمس والمسافة الحقيقية التي يبتنا وبين الشمس ٩٢ مليون ميل بالتقريب يصل نورها الى الارض في ٨ دقائق و ١٩ ثانية

وبلي الشعري الجانية في البعد عدد لا يحصى من النجوم بضعة وعشرون منها يعرف لها اختلاف سنوي والملايين الكثيرة الباقية لا يعرف لها اختلاف سنوي لتناهيها في البعد اولئها في قلب المجرة واقاصيها وتراها باسراع نورها وليس بذات جرمها لان زاوية البصر تتلاشى قبل الوصول الى اقرب الثوابت بمسافات بعيدة واغوى النظارات في وقتنا الحاضر لاترينا قرصاً للثوابت واذا قيل بأن النور يحتاج عرض المجرة بمدة عشرين الف او ثلاثين الف سنة فبعض السدام على رأي بعض الفلكيين يقتضي لوصول نوره الينا سبعمائة الف سنة واغوى النظارات لم تحله الى نجوم مفردة او عناقيد ومن المحتمل ان يكون مجرة بعيدة كالجمرة التي نظامنا الشمسي وعامة الكواكب وانظمتها منها وفيها على ان الرأي القائل بان وراء هذه المجرة المحيطة بنا مجرات عديدة مؤلفة من عوالم وانظمة

الى مالا نهاية لما يتأكد والآلات الخائسة لانه كما من كشف شيء من هذا السر العظيم وقد وجدت خطوط في طيوف بعض السدام انور من خطوط الهيدروجين لا تدل على عنصر معروف في الارض او في الشمس حتى الآن فمن المحتمل ان يكون ذلك دليلاً على وجود عنصر ايسر او اوطأ رتبة من الهيدروجين

هذا ما جال في خاطر حداني اليه كوكب نظرائه كاتب تلك الرسالة لانتفاء اثره واقتباس منار علمه في هذا المسلك الذي قد لا انجو بسلوكة من العنور فالرجوع الى ما يدونه علماء العصر احق والبحث في انواع العلوم الطبيعية انور للبصيرة فتكسب المرء قدرة التصرف بالاعمال العظيمة المفيدة فان اكثر الناس تجهل حقيقة هذا العلم وتغفل في السماء اموراً سخيفة اشركتها في م تقدها وتسكت في باطلها وظلت عليها القرون والاحتباب حتى رسخت تلك الاوهام الفاسدة في العقول وانطبعت مزاعم زعمائهم الباطلة في القلوب فتأصل فيهم الميل للشعوذات والايان بالخرافات وحقت عليهم كلمة الشر والجهالة فصارت ذريعة الى المجادلات حتى الحروب والغارات وفاتهم ان الارض دار قراع وتنازع في البقاء وان عصرنا هذا عصر جد واجتهاد وانهم على سطح جرم حديد (الارض) اعتبراره كذرة من جميع المادة نسيته اليها كنسبة حبة رمل الى طود عظيم خليط من التراب والرمل والحجارة تنثرت اجزائه في هذا الفضاء وعلم البيثة الحقيقي وهو علم اثبت الفحص وقام عليه البرهان يعرفنا بحقيقة هذا الوجود ويزيل او يقلل من تفاخر الانسان الكاذب وغلوائه وعند التعمق باصوله وتعميم انتشاره في مستأنف الزمان يدركنا التغيير الكلي في جميع امورنا واحواننا ونخرج من مأزق التعصب ومضيق الافكار فتبدو علامات اليمن وامارات الخير ويكون لهذا العلم المزية الكبرى على سائر العلوم فهو رائد الاصلاح الاكبر دمشق : احداث القراء

وقف للعلم

وقف احمد بك زكي من علماء مصر خزانة كتبه وفيها مئات من الامهات المهمة المخطوطة والمطبوعة واكثر مطبوعات اوربا العربية وكثير من نقاش الكتب الاخرى على المطالعة لاهل القاهرة وذلك على شرط ان تجعل في مكان خاص بها من دار الكتب المصرية وهي غيرة على العلم لانتسكث من خدمة طول حياته

مسألة قلة النفوس

وضعت مجلة الاقتصاد بين مقالاتها فيها انه يكاد لا يعرف كبير امر عن مسألة النفوس

لان الامم القديمة قد دثرت كلها تقريباً ونوشك ان لانعرف الا اموراً طفيفة عن حالة الاشوريين كما نحن كذلك في تصور اليونان والرومان فان الرجال الممتازين قواداً كانوا او فلاسفة ممن اشتهروا قديماً لم يتركوا عقباً فلا يمكن ان يقال انهم هلكوا سيفه حروب اهلية او خارجية وان قد خلفتهم شعوب اخرى مثل البورغونيين والفانداليين والغوتيين الذين نشأوا من جرمانيا والهونسيين والمجريين الذين جاؤا من آسيا فلماضي يمثل لاعيننا تعاقب الامم التي تناقلت حسنات المدنية خلفاً عن سلف .

ومسألة قلة النفوس اليوم ينظر فيها في كل مكان ولاسيما في فرنسا فالشعب الفرنسي اليوم ٣٩ مليوناً ويجب ان يزيد كل سنة مليون نسمة ولذلك رأى احدهم ان يعطى كل اب اوام فرنسويتين ماشاء آمن الوظائف لان لم ميلاً خاصاً اليها على شرط ان يكون لها ثلاثة اولاد احياء او اكثر بدون نظر الى كفاءتهما وان تخصص الحكومة مكافأة مالية قدرها خمسمائة فرنك تدفع دفعتين اذا ولد للابوين الولد الثالث وهو حي وبذلك تنفق الحكومة في السنة من ١٥٠ الى ١٧٥ مليون فرنك

فردت المجلة على هذا الفكر وقالت ان الاولاد والمعجزة الذين يولدون على تلك الصفة مدة عشر سنين يزيد عددهم ملايين وهم لا يعملون عملاً ويفتقر السكان من جباية هذه الضريبة منهم اي مبلغ ١٧٥ مليوناً كل سنة الذي يقضى عليه ادائه وما قط كانت زيادة الضرائب مغنية لامة ومن ذلك نشأ فقر متتابع لان مائتي مليون فرنك لا تكفي للقيام بتعليم العلم العالي الذي يستلزمه اعداد رجال للصناعات الحرة مثل الطب والحمامة والهندسة وغيرها وسلك الوظائف ايضاً وربما كان في المستقبل معوض عن هذا العمل ولكن الحال في فرنسا ليست كمايركا وروسيا لان باطن ارضها قليل الغصب ولايرجى رواج التجارة اكثر من الآن فالنفوس فيها محدودون وكل دواء يقترح لشفاء من قلتها لا يزيد الحال الا اعضالاً

فهذه الضريبة لا تأثير لها في الاغنياء والحكومة الآن هي السبب في تقليل السكان فخير لها فيما نرى ان تسهل التعليم العالي فلا تحتم على طلب الطب والحمامة تعلم اللاتينية بل واليونانية وبمجموعة العلوم في حين يكفهم ما معرفة علومها معرفة عملية ويحذف جبايا الاقتصاد من خطة الدروس درس بقية العلوم لامثال هؤلاء وبذلك يتوفر مبالغ من المال تصرف على تعليمهم اياها . قالت وانجح الاسباب في ذلك تقليل الضرائب على وجه عام فبتقليلها تزيد النفوس الى الحد المطلوب الذي نسمح به حالة البلاد ونشاط اهله

دار الترجمة

صدر الامر اخديوي باعادة ديوان الترجمة في مصر كما كان في ايام الخديويين السالفين وسيعرب هذا الديوان كل ما يحتاج اليه اللغة العربية من انواع العلوم والفنون المستحدثة

التربية اليابانية

تقضي الحكومة اليابانية على الوالدين ان يرسلوا ابنهم الى المدرسة مت سنوات يخصص منها ساعتان في اليوم لدروس الآداب . ولناظر المعارف ان يفتخب الكتب المدرسية . واهم الموضوعات في مدارسهم واجب الحب والودي واحترام السلف والاخلاص للامبراطور والامبراطورة والصفح والاحتشام وعرفان الجليل والاقتصاد والرفقة نحو الشيوخ والخدم والمجاملة والواجبات نحو الجار والغير العام واحترام الآلهة والوطنية واستعمال الوقت والشجاعة . وقد اضافوا في السنين الاخيرة دروساً عديدة في واجبات الوطني الاجتماعية وواجبات الجندي وانتخاب النواب للبرلمان والبلدية واحترام الشرائع وفضيلة الرجل وواجبات الرجل والمرأة وهلم جرا .

اكتشاف نافع

اكتشف الدكتور امريخ الروسي تركيباً كيمياوياً من الزرنيخ فذات التجارب على نجاح هذا الدواء في معالجة الحمى الملارية والحمى المنقطعة ومرض التوأم . ويعتقد بعض الاطباء انه بات في حيز الامكان الآن التغلب على مرض التوأم المنفشي في بلاد الكونغو وغيرها من البلاد الاميركية . وفي رواية اخرى ان هذا التركيب يشفي من المرض الزهري

ميكروب الخصب

اعلن الدكتور رسل والدكتور هتشنسن في المجمع الطبي البريطاني اكتشاف ميكروب يقتل البكتريا اللازمة لخصب الارض وهو اعظم اكتشاف زراعي منذ ٥٠ سنة وكانا قد اكتشفا علاجا بالحرارة او مضادات الفساد يقتل جراثيم كثيرة من التي تأكل البكتريا المفيدة للارض فتزيد بذلك خصب التربة . وقد كان في اثناء ابحاثهما في هذا الموضوع ان اكتشف الميكروب المتقدم ذكره